الباب الثاني

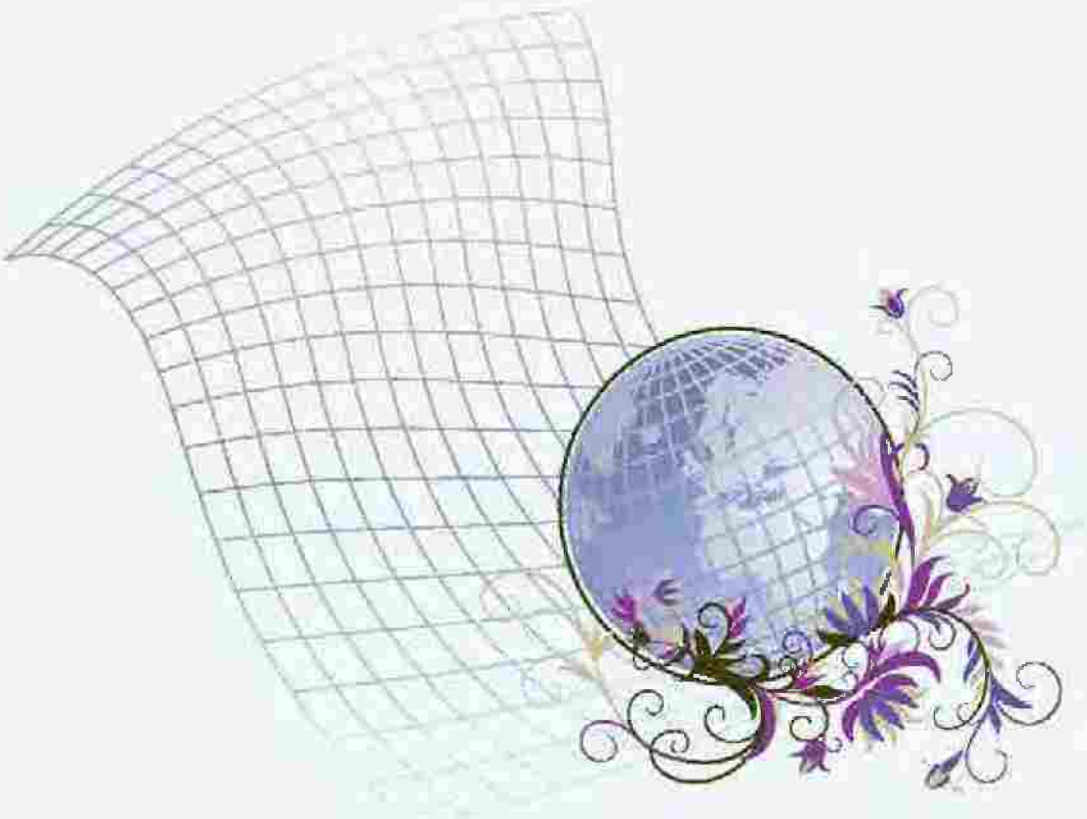

العصر العباسي الأول

١٣٢ - ٢٣٢ هـ / ٧٥٠ - ٨٤٧ م

عصر القوة والتوسع والازدهار

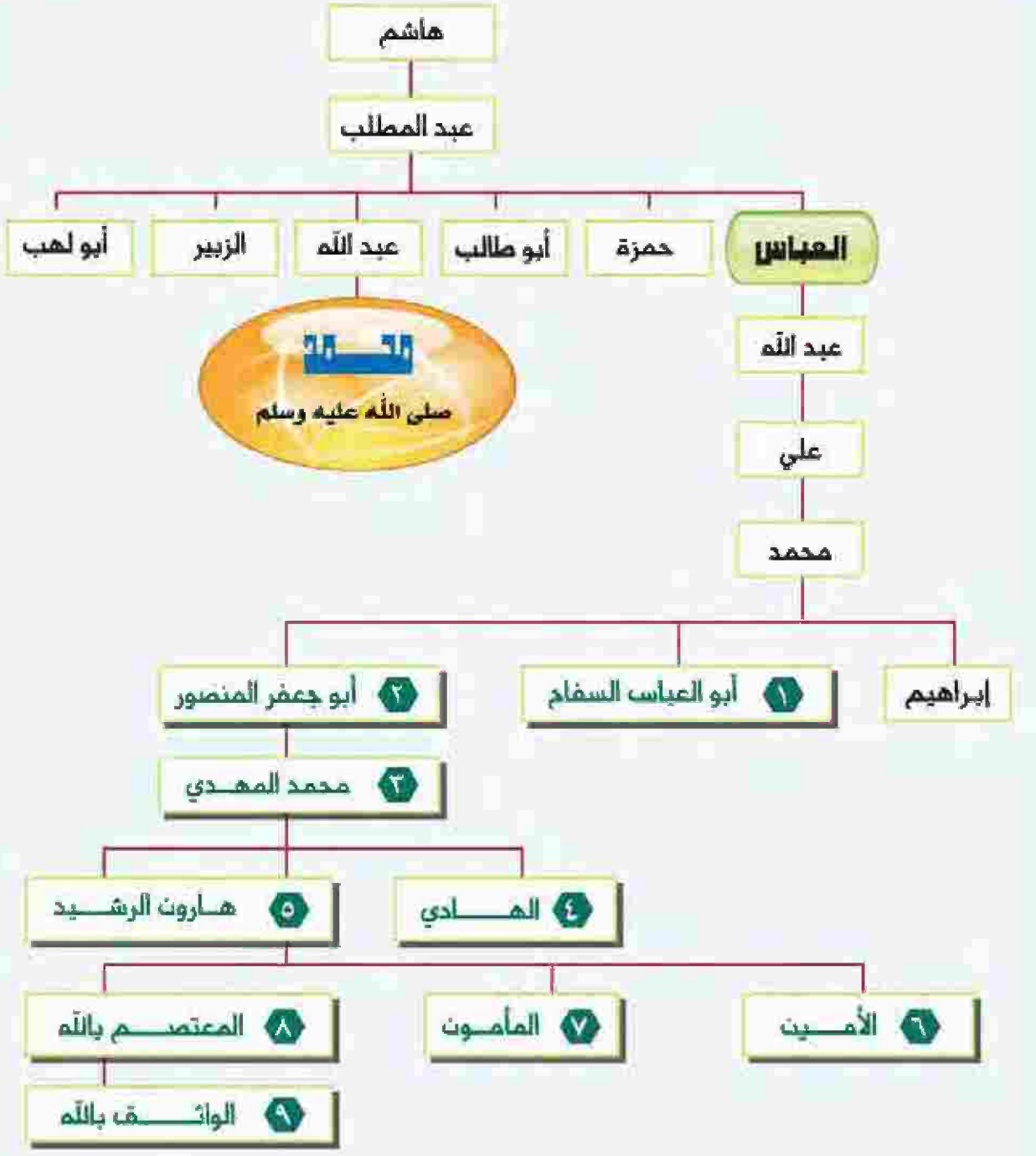

الخلفاء العباسيون في العصر الأول

العصر العباسي الأول: ١٣٢ - ٢٣٢ هـ / ٧٥٠ - ٨٤٧ م

اصطلح مؤرخو الدولة العباسية إلى تقسيمها إلى **حقبتين**:

حقبة سميت بالعصر العباسي الأول أو العصر الذهبي للدولة العباسية، وتشمل الخلفاء العباسيين من أبي العباس السفاح سنة ١٣٢ هـ حتى وفاة الواثق بالله العباسي سنة ٢٣٢ هـ، وهو مناط حديثنا في هذا الباب.

أما الحقبة الأخرى فجاءت تسميتها بالعصر العباسي الثاني، ويتساق فيها التاريخ العباسي في **ثلاث أحقاب** حتى سقوط بغداد على أيدي جحافل المغول سنة ٦٥٦ هـ.

ويرى الأستاذان، د. حسن أحمد محمود، و د. أحمد إبراهيم الشريف في كتابهما[1]: أن وفاة الواثق بالله العباسي كانت خطاً فاصلاً بين عصرين يختلفان في جميع المقومات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وأن هناك أسباباً تؤيد ذلك منها تطبيق شعارات الدعوة العباسية، حيث وضحت فيها مكاسب الثورة العباسية وطبقت عملياً، على الرغم من بعض الأخطاء الصريحة، لكن الإشكالية الحقيقية في العصر اللاحق على الخليفة الواثق إذ أخذت فيه مكاسب الثورة تضيع، لأسباب خارجة عن إرادة الخلفاء نتيجة لضعفهم، وبدأت الأخطاء تتضاعف وتؤتي ثمارها الضارة بظهور ثورات مضادة لاتجاهات الدولة.

إن الدولة العباسية في عصرها الأول تركزت قوتها بهيبة خلفائها الأقوياء. فالخلفاء بأيديهم السلطات العليا حيث تمتعوا بقدرات شخصية وسياسية وإدارية فذة، منها سيطرت الدولة على رعاياها، والقضاء على أي محاولة للعبث بمقدراتها أو بمكتسبات وجودها؛ فأولت الجهاد في سبيل الله كل عنايتها، بعدما توقف في أواخر العصر الأموي، بدليل أن أبا العباس السفاح أراد الخروج لمقارعة الروم منذ توليه سدة الخلافة ولكن المنية سبقته، فسار أبو جعفر المنصور من بعده بتنظيم حملات الصوائف والشواتي على الثغور الشامية مع البيزنطيين، وسار على هذا النهج سلفه، حيث قادوا الجهاد وحاربوا الروم وفتحوا البلدان وقمعوا الفتن، ويكفي في هذا الصدد أن الخلفاء (هارون الرشيد والمهدي والمأمون) ماتوا - رحمهم الله تعالى - وهم في حملاتهم الجهادية.

لقد اتسم هذا العصر بمكانة مرموقة للعنصر الفارسي في أجهزة الدولة، وكان لنفوذهم الواسع تأثير كبير في توجيه سياستها، حتى سيطروا أخيراً على الجهازين الإداري والعسكري في بغداد والأقاليم الخاضعة لنفوذها، فأحكموا قبضتهم على قيادة الجيوش والمناصب الإدارية الكبرى؛ كالوزارة والكتابة والولاية على البلدان، وتحقق للعباسيين في هذا العهد ازدهار للحركة العلمية ورخاء للحياة الاقتصادية. على الرغم من قيام حركات مناوئة للاستقرار ووحدة دولة الخلافة، هدفها زعزعة

---

١ - العالم الإسلامي في العصر العباسي ص ٦٣ .

الحياة الاجتماعية والسياسية والدينية، تمثلت في حركتي **الشعوبية** (التي حقدت على الإسلام وثقافته ولغته، وتزعمها قوم من الفرس المجوس، لبث النعرات الإقليمية والقومية المنبوذة). **والزنادقة** (الذين كانوا يظهرون الإسلام ويبطنون المجوسية، ثم نادوا بالإلحاد والإباحية، واستغلوا ميادين العلم والمعرفة، لنشر سمومهم وبث أفكارهم، ومن أبرز هذه الحركات، حركات الراوندية والبابكية والمقنع وغيرها من المثل والنحل آنذاك).

وعلى الرغم من ذلك فإن **الفتن الداخلية** التي اجتاحت هذا العصر تمثلت في فتن الشيعة والخوارج والمعتزلة ... وغيرهم.

فقد كان للدولة أبلغ الأثر في التصدي لهذا الفكر العقدي الذي يصطدم مع التعاليم الإسلامية التي جاء بها القرآن وحثت عليها السنة، وذلك من خلال التركيز على دعم الحياة الفكرية عن طريق الاهتمام بالعلوم الشرعية والحفاظ عليها من أصحاب البدع والأهواء فجاءت نتائج هذا المشروع في العصر اللاحق من خلال بروز المدارس الشرعية للحفاظ على الهوية الإسلامية الصحيحة (انظر الباب السادس من هذا الأطلس).

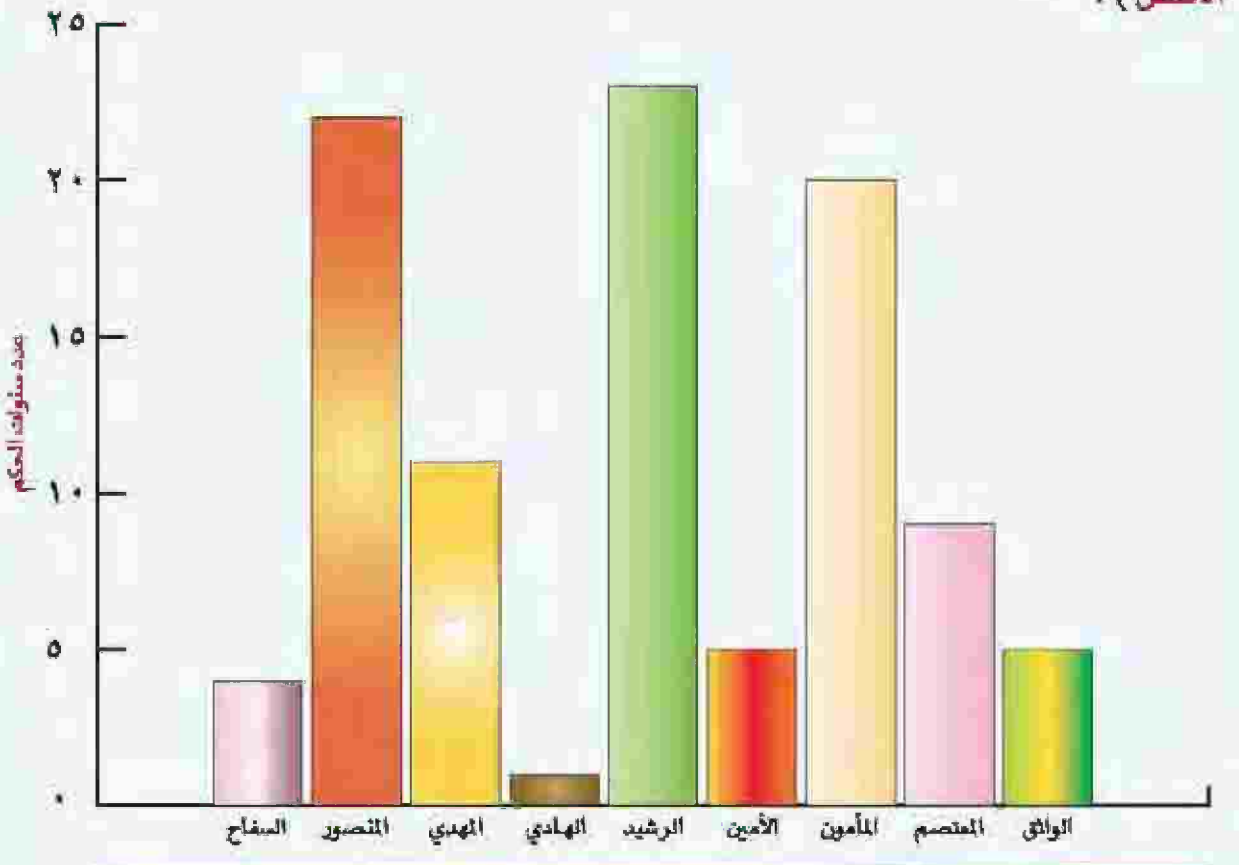

الخلفاء العباسيون في العصر العباسي الأول ١٣٢ - ٢٣٢ هـ / ٧٥٠ - ٨٤٧ م

أبو العباس السفاح

١٣٢-١٣٦هـ / ٧٥٠-٧٥٤م

هو عبد الله بن محمد بن علي العباسي، وكنيته أبو العباس « السفاح » . ولد سنة ١٠٥هـ/٧٢٣م بالحميمة من أرض الشراة من البلقاء بالشام، ونشأ فيها. بويع له بالخلافة في الكوفة يوم الجمعة الثاني عشر من شهر ربيع الآخر عام ١٣٢هـ/ شهر تشرين الأول عام ٧٤٩م.

قال عنه الذهبي [١]: (السفاح الخليفة أبو العباس عبدالله بن محمد بن علي بن حبر الأمة، عبدالله ابن عباس، بن عبدالمطلب، بن هاشم بن عبد مناف، القرشي، الهاشمي، العباسي. أول الخلفاء من بني العباس. كان شاباً، مليحاً، مهيباً، أبيض، طويلاً، وقوراً. هرب السفاح وأهله من جيش مروان الحمار، وأتوا الكوفة، لما استفحل لهم الأمر بخراسان، ثم بويع في الكوفة).

ومع التشابه بين اسمي أبي العباس السفاح وأبي جعفر المنصور (عبد الله بن محمد بن علي العباسي) جعل المؤرخون يلقبون الخليفة السفاح بعبد الله الأصغر. نظراً لأنه أصغر سناً من أخيه المنصور.

ألقى أبو العباس، على عادة الخلفاء لدى انتخابهم، خطبة في مسجد الكوفة « انظر الخطبة في الصفحة المقابلة » أوضح فيها الهدف الذي من أجله قامت الثورة العباسية، ونددّ بالأمويين الذين وصفهم بمغتصبي الخلافة، ووعد الكوفيين، الذين ساندوا الثورة، بزيادة أعطياتهم، ولم ينسَ أن يذكرهم بأنه: "السفاح المبيح والثائر المبير".

كان الخليفة أبو العباس مقيماً بالكوفة، ويبدو أنه أدرك وضعها الشاذ بفعل عدم تأييد غالبية سكانها للثورة العباسية، فانتقل منها إلى مكان قريب عرف بهاشمية الكوفة، غير أنه لم يمكث فيها طويلاً، وانتقل إلى الأنبار، شمالي الكوفة، على نهر الفرات في عام ١٣٤هـ/٧٥١م وبنى بجوارها مدينة لنفسه عرفت بهاشمية الأنبار. أقام بها حتى وفاته سنة ١٣٦هـ/٧٥٤م.

عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : " يخرج منّا رجل في انقطاع من الزمن، وظهور من الفتن يسمى السفّاح، يكون عطاؤه المال حثياً "[٢]. وأئمّة الحديث لا يصرفون هذا الاسمَ إلى أبي العبّاس، وإنّما هو نبوءة كبقية النبوءات التي وردتْ في القرآن الكريم والحديث النبويّ لا يُدرى تأويلها إلاّ أن تكون، ولكنّ الدعوة العباسية فيما يظهر قد جمعتْ بين هذا الحديث وأحاديث أُخر هي من باب النبوءات أيضاً، وجعلتْ منها حديثاً اتخذتْه في الدّعوة إلى إقامة الخلافة في بني العبّاس.

١ - الذهبي ، أبو عبد الله بن محمد، سير أعلام النبلاء، ترجمة أبي العباس السفاح، دار الفكر - بيروت (لبنان) .

٢ - تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، رقم الحديث: ٣٣٧٩ (حديث مرفوع) .

من خطبة أبي العباس السفاح في الكوفة

«الحمد لله الذي اصطفى الإسلام لنفسه، وكرمه وشرفه وعظمه، واختاره لنا، زعم الشامية أن غيرنا أحق بالرياسة والسياسة والخلافة منا، شاهت وجوههم، ثم لم ولم لهما الناس؟ وبنا هدى الله الناس بعد ضلالتهم، وبصرهم بعد جهالتهم، وأنقذهم بعد هلكتهم، وأظهر بنا الحق، ودحض الباطل، وأصلح بنا منهم ما كان فاسداً، ورفع بنا الخسيسة، وتمم النقيصة، وجمع الفرقة، حتى عاد الناس بعد العداوة أهل التعاطف والبر والمواساة في دنياهم، وإخواناً على سرر متقابلين في آخرتهم، فتح الله ذلك -ينة وبهجة- لمحمد، فلما قبضه الله إليه، وقام بالأمر من بعده أصحابه، وأمرهم شورى بينهم، خوّنوا مواريث الأمم، فعدلوا فيها ووضعوها مواضعها وأعطوها أهلها، وخرجوا خماصاً منها، ثم وثب بنو حرب وبنو مروان فابتزّوها وتداولوها، فجاروا فيها واستأثروا بها، وظلموا أهلها، وقد أملى الله لهم حيناً حتى آسفوه، فلما آسفوه انتقم منهم بأيدينا، وتدارك بنا أمتنا، وولّي نصرنا والقيام بأمرنا، ليمنّ بنا على الذين استضعفوا في الأرض، فهنتم بنا كما افتتح بنا، وإني لأرجو أن يأتيكم الجود من حيث جاءكم الخير، ولا الفساد من حيث جاءكم الصلاح، وما توفيقنا أهل البيت إلا بالله، فاستعدوا أيها الناس، فأنا السفّاح المبيح والثائر المبير» (يقصد أنه كريم جواد).

الجبهة الداخلية في عهد أبي العباس السفاح (١)

الهاشمية: مدينة بناها السفّاح بالكوفة وذلك أنه لما ولي الخلافة نزل بقصر ابن هبيرة واستتمّ بناءه وجعله مدينة وسماها الهاشمية فكان الناس ينسبونها إلى ابن هبيرة على العادة، فقال: ما أرى ذكر ابن هبيرة يسقط عنها، فرفضها وبنى جوارها مدينة سماها الهاشمية ونزلها ثم اختار نزول الأنبار فبنى مدينتها المعروفة هنا توفي دفن بها، واستطلف المنصور فعزلها أيضاً واستتمّ بناء كان بقي فيها وزاد فيها على ما أراد ثم تحوّل عنها فبنى مدينة بغداد وسماها مدينة السلام... . الحموي، معجم البلدان، باب الباء والألف.

يزيد بن عمر بن هبيرة: أمير العراقين أبو خالد نائب مروان الثاني (الحمار). كان بطلاً شجاعاً، سائساً جواداً، فصيحاً، خطيباً. وكان من الأكلة، وله في كثرة الأكل أخبار. ومن محمد بن كثير، أن السفاح ألح على أخيه أبي جعفر بأمره بقتل ابن هبيرة، وهو يراجعه لكونه حلف له. فكتب إليه وأتبه ليتلطفه. فولى قتله الهيثم بن شعبة، وقد ولي أبوه أيضاً إمرة العراقين ليزيد بن عبد الملك بعد المائة. قتل يزيد في ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثين ومائة وكان أبو مسلم الخراساني هو الذي أغرى السفاح بقتل ابن هبيرة. وكان ابن هبيرة يركب ركبة عظيمة إلى أبي جعفر، فلما جاء الحاجب إلى أن بقي هي ثلاثة.

دينار أبي العباس السفاح

١ أبو العباس السفاح يُعيّن عمه سليمان بن علي والياً على البصرة وأعمالها.

٢ أبو العباس يُعيّن عمه إسماعيل بن علي والياً على كور الأهواز وأعمالها.

٣ أبو العباس يُعيّن عمه داود بن علي والياً على الحجاز واليمن بعد أن عزله عن الكوفة.

٤ أبو العباس يُعيّن عمه عبد الله بن علي والياً على حرب مروان بن محمد.

٥ أبو العباس يكلّف أخاه أبا جعفر المنصور لقتال يزيد بن هبيرة .

عاصمة خلافة أبي العباس السفاح

١٠٠ ٠ ٢٠٠ ٣٠٠ ٤٠٠كم

١ خروج حبيب بن مرّة المرّي في إقليم البلقاء بفلسطين والبلقاء وحوران .

٢ خروج (أبو الورد) بقنّسرين .

٣ حركة أسامة بن مسلم في أرض الجزيرة الفراتية، واتخذ هؤلاء القادة الثلاثة رفع الأعلام البيضاء، ويسمون أنفسهم بالمبيضة، تأكيداً على تمردهم على الحكم العباسي الذي اتخذ السواد شعاراً له وسمي أتباعه بالمسودة .

٤ القائد العباسي عبد الله بن علي يقضي على الحركات السابقة ويخضع مدن الرقة وحرّان والرها وماردين ودمشق وبيت المقدس .

٥ بعد مقتل مروان بن محمد في معركة الزاب، طلب ابن هبيرة الصلح، إلا أن العباسيين قتلوه في نهاية الأمر، ثم بعد ذلك قتل العباسيون أبا سلمة الخلال (وزير آل محمد) حينما شعروا برغبته بتحويل الخلافة من البيت العباسي إلى البيت العلوي.

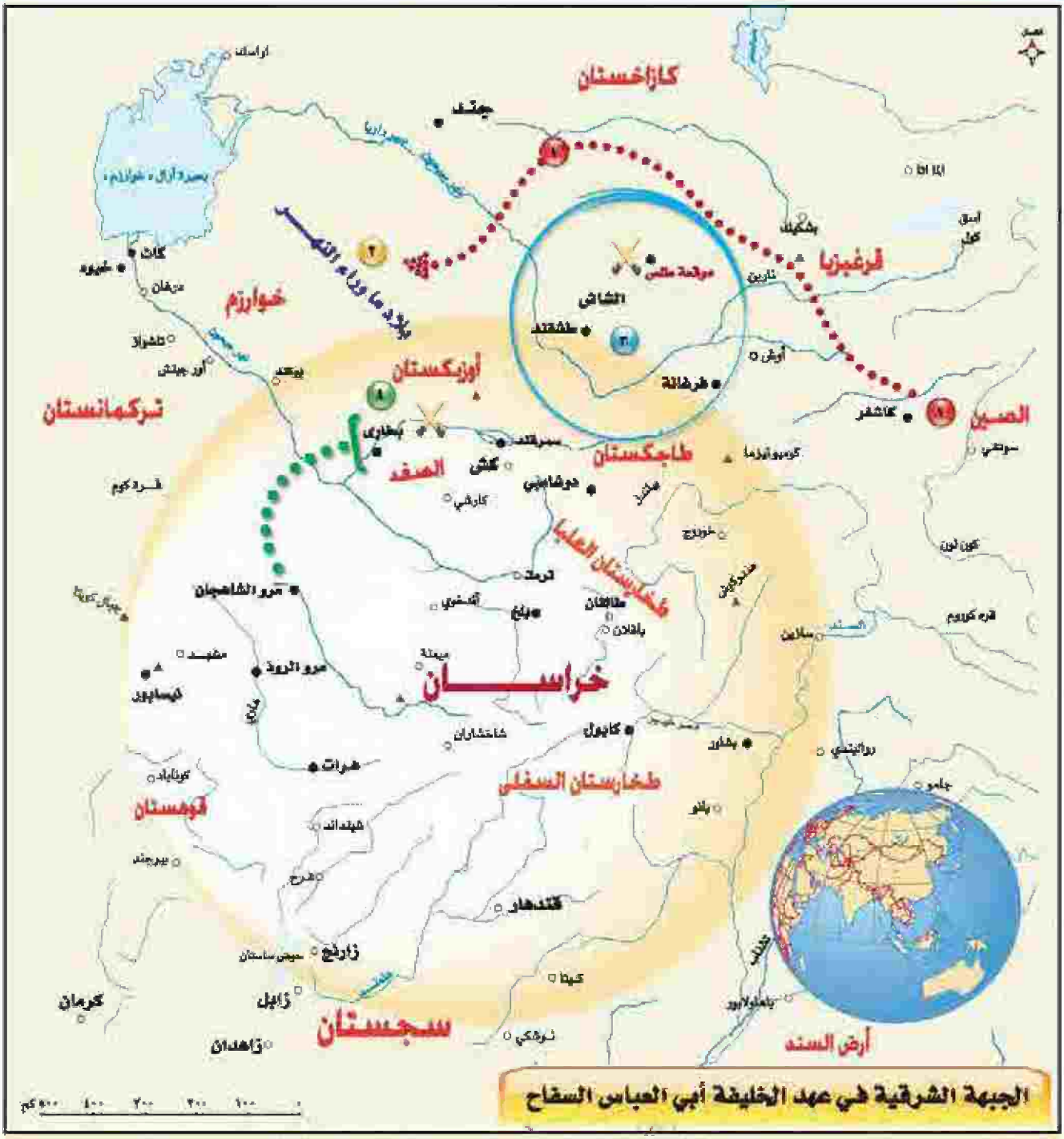

الجبهة الشرقية في عهد الخليفة أبي العباس السفاح

١ – **الصينيون** يغزون بلاد ما وراء النهر التي فتحها المسلمون في العهد الأموي مستغلين تضعضع أوضاع المسلمين فيها .

٢ – في عام ١٣٢ هـ الجيش الصيني يستولي على مدينة سوياب وبدمرها (سوياب، فرسخان وسوياب، قريتان إحداهما تسمّى كياك والأخرى ساغور كياك، ابن خرد ذبه، المسالك والممالك) .

٣ – **الصينيون** يستغلون النزاع الدائر بين أخشيد فرغانة وملك الشاش، حيث وقفوا مع فرغانة ضد الشاش .

٤ – القائد المسلم **زياد بن صالح** الذي استطاع إخماد ثورة **شريك بن شيخ المهري** في **بخارى**، استطاع أن يلحق الهزيمة بالجيش الصيني على نهر طراز (**موقعة طلاس**) سنة ١٣٢ هـ . وبذلك ينهي التدخل الصيني في المنطقة .

الجبهة البيزنطية في عهد الخليفة العباسي أبي العباس السفاح

١ الإمبراطور البيزنطي **قسطنطين الخامس** يغير على مناطق الثغور الشامية والجزرية ويستولي على الكثير من المدن والقلاع مستغلاً الأوضاع الداخلية في العالم الإسلامي .

٢ الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الخامس سنة ١٣٢ هـ يقود حملة إلى منطقة الحدود مع أرمينيا ويستولي على حصن ثيودو سيبوليس (آرض روم)، ولم يتمكن الجيش العباسي بقيادة مخلد بن مقاتل بن حكيم من الصمود أمامه، واستطاع الإمبراطور مواصلة زحفه على الثغور فاستولى على الحدث وملطية وقلوذية وخرّب حصن شمشاط .

٣ في سنة ١٣٤ هـ استأنف المسلمون عملية **الصوائف والشواتي**؛ فأرسل أبو العباس السفاح صائفتين إلى ملطية، **الأولى** بقيادة عمّيه صالح وعيسى ابني علي فدمرا سورها، **والثانية**، بقيادة محمد بن النضر بن بريم الحميري الذي دخل حصن ملوانة، ثم وجّه في نهاية العام **غارة بحرية** إلى صقلية وسردينيا بقيادة عبد الله بن حبيب الفهري.

٤ الخليفة العباسي (أبو العباس) يكلف واليه على الشام عمه عبد الله بن علي في عام ١٣٦ هـ بتجهيز حملة إلى **آسيا الصغرى** تجمعت في مرج دابق، لكن المنية وافته قبل أن يرسل طلائع الجيش إلى هناك .

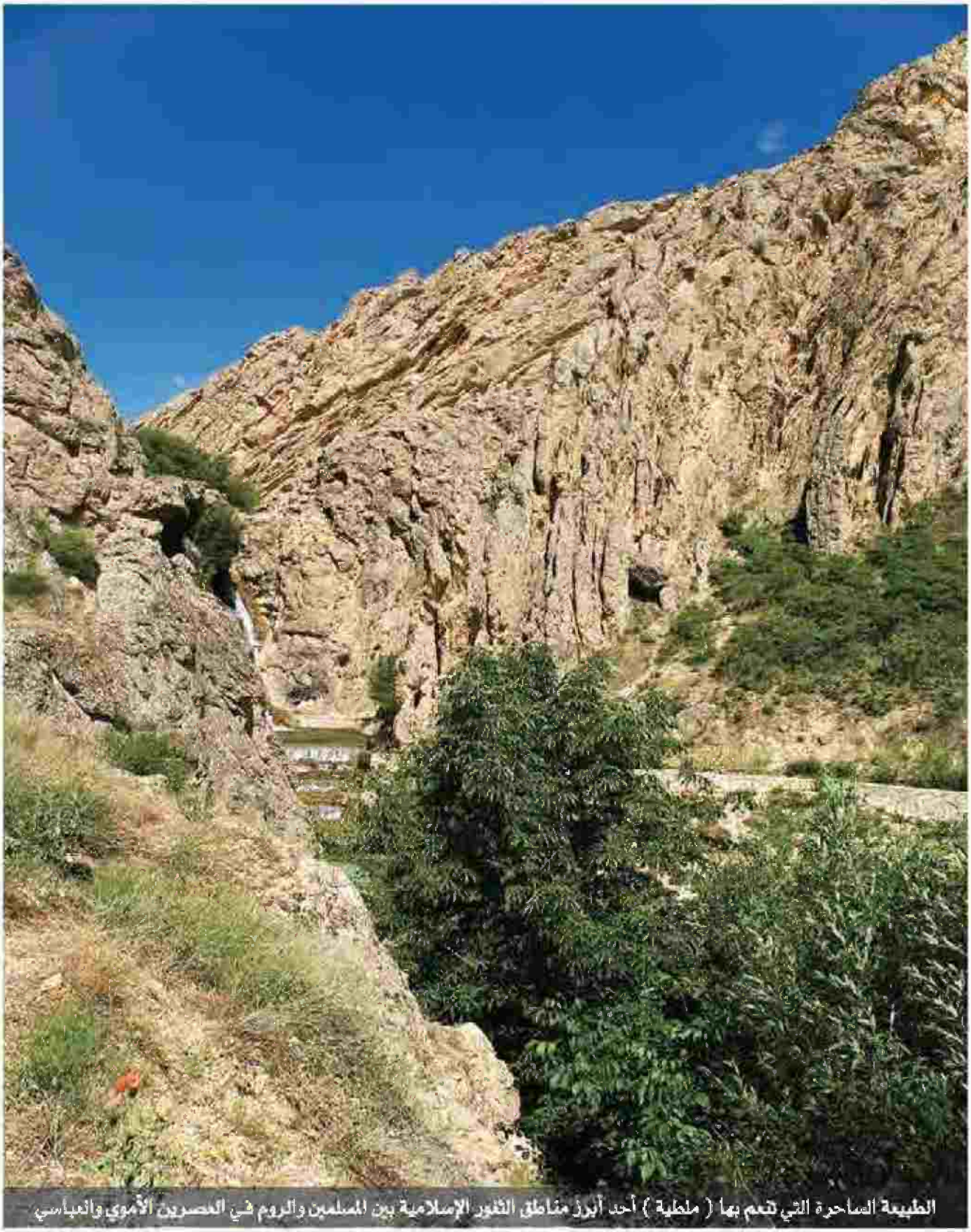

الطبيعة الساحرة التي تتعم بها (ملطية) أحد أبرز مناطق الثغور الإسلامية بين المسلمين والروم في العصرين الأموي والعباسي

أحد المساجد العثمانية التي تزخر بها (أرض روم) التركية

زقاق قديم في أضنة التركية

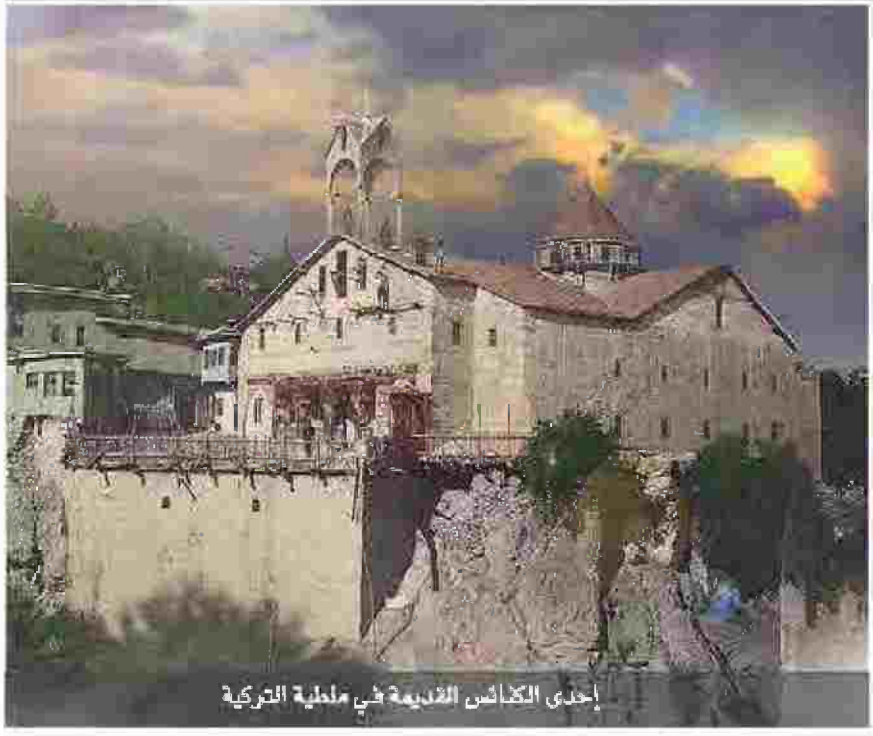

إحدى الكنائس القديمة في ملطية التركية

أبو جعفر المنصور

١٣٦-١٥٨هـ / ٧٥٤-٧٧٥م

هو المنصور **عبد الله بن محمد** بن علي العباسي، وكنيته «أبو جعفر». ولد سنة ٩٥هـ/٧١٢م بالحميمة من أرض الشراة من البلقاء بالشام، ونشأ فيها. بويع له بالخلافة بعد وفاة أخيه أبي العباس سنة ١٣٦ هـ - ٧٥٤م حتى وفاته في ٦ من ذي الحجة سنة ١٥٨هـ = ٧ من أكتوبر ٧٧٥م) وهو محرم بالحج والعمرة، ودُفن في مقبرة المعلاة (بئر ميمون) في أعلى مكة المكرمة.

يُعد أبو جعفر المنصور هو **المؤسس الحقيقي للدولة العباسية**. يقول ابن طباطبا في الفخري: هو الذي سن السنن وأرسى السياسة واخترع الأشياء، وسار أبناؤه الخلفاء من بعده على مسيرته؛ وهو فوق ذلك جعل لبني العباس سنداً شرعياً في وراثة الدولة، أعطت لهم السبق على أبناء عمهم الطالبيين، تمثلت في المكاتبات بينه وبين محمد بن عبد الله بن الحسن الملقب بالنفس الزكية، ويتلخص ذاك السند في الفتوى بأن العم أحق في الوراثة من البنت، وابن العم، ويقصد بذلك فاطمة الزهراء رضي الله عنها و علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ كما أن المنصور هو من سن السياسة الدينية وجعلها أساساً لحكم العباسيين.

لذا يعد أبو جعفر المنصور - كما أسلفنا - المؤسس الحقيقي للدولة العباسية التي ظلت خمسة قرون، زينة الدنيا، ومركز الحضارة، وموئل الثقافة، وعاصمة العالم. نهض إلى الخلافة بعد أن أصقلته التجارب وأنضجته المحن، وخَبِر الناس وعاشرهم ووقف على دواخلهم وأخلاقهم، وما إن أمسك بزمام الأمور حتى نجح في التغلب على مواجهة صعاب وعقبات توهن عزائم الرجال وتضعف ثبات الأبطال، وتبعث اليأس والقنوط في النفوس. وكانت مصلحة الدولة شغله الشاغل، فأحكمت خطواته وأحسنت تدبيره، وفجرت في نفسه طاقات هائلة من التحدي، فأقام دولته باليقظة الدائمة، والمثابرة الدائبة، والسياسة الحكيمة.

شخصية أبي جعفر المنصور القيادية: كان الخليفة أبو جعفر المنصور رجل عمل وجد، لم يتخذ من منصبه وسيلة للعيشة المرفهة والانغماس في اللهو والاستمتاع بمباهج السلطة والنفوذ، يستغرق وقته في النظر في شؤون الدولة، ويستأثر بمعظم وقته أمناء الحكم.

وكان يعرف قيمة المال وحرمته، فكان حريصاً على إنفاقه فيما ينفع الناس؛ ولذلك عني بالقليل منه كما عني بالكثير، ولم يتوان عن محاسبة عماله على المبلغ الزهيد، ولا يتردد في أن يرسل إليهم التوجيهات والتوصيات التي من شأنها أن تزيد في دخول الدولة، وكان يعنف أي لون من ألوان تضييع المال دون فائدة، حتى اتهمه المؤرخون بالبخل والحرص، ولم يكن كذلك فالمال العام له حرمته ويجب إنفاقه في مصارفه المستحقة؛ ولذلك لم يكن يغض الطرف عن عماله إذا شك في أماناتهم من الناحية المالية بوجه خاص لأنه كان يرى أن المحافظة على أموال الدولة الواجب الأول للحاكم. وشغل أبو جعفر وقته بمتابعة عماله على المدن والولايات، وكان يدقق في اختيارهم ويسند إليهم المهام، وينتدب للخراج والشرطة والقضاء من يراه أهلاً للقيام بها، وكان ولاة البريد في الآفاق يكتبون إلى المنصور بما يحدث في الولايات من أحداث، حتى أسعار الغلال كانوا يطلعونه عليها وكذلك أحكام القضاء، وقد مكنه هذا الأسلوب من أن يكون على بينة مما يحدث في ولايات دولته، وأن يحاسب ولاته إذا بدر منهم أي تقصير. وعلى الرغم من الشدة الظاهرة في معاملة المنصور، وميله إلى التخلص من خصومه بأي وسيلة، فقد كان يقبل على لقاء العلماء الزاهدين ويرحب بهم ويفتح صدره لتقبل نقدهم ولو كان شديداً. وتمتلئ كتب التاريخ والأدب بلقاءاته مع سفيان الثوري وعمرو بن عبيد وابن أبي ذئب والأوزاعي وغيرهم. موسوعة المعرفة

الأحداث السياسية الكبرى في عهد أبي جعفر المنصور

صورة مكبرة لدينار الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، سك في سنة ١٤٣ هـ

أراد **أبو جعفر** أن يضرب عمه **عبد الله بن علي** بأبي مسلم الخراساني، وأيهما زال فقد زال من طريقه، ولا سيما أن عبد الله بن علي ينتظر أن تؤول إليه الخلافة، لما كان له من يد طولى في القضاء على ملك بني أمية، فلما جاء الخبر باستخلاف أبي جعفر المنصور **خلعه وأعلن البيعة لنفسه**.. فأرسل إليه أبو جعفر جيشاً بقيادة **أبي مسلم الخراساني** فالتقوا عند **حرّان** ودارت معركة بين الفريقين لمدة ستة أشهر، وظلت المعركة سجالاً ثم تحولت إلى أبي مسلم الذي انتصر، وفر عبد الله بن علي إلى **البصرة** عند أخيه سليمان، فعلم بذلك أبو جعفر فبعث إلى سليمان يأمره بإحضار عبد الله بن علي إليه، وأعطاه الأمان لعبد الله ما جعله يثق به، فجيء به إلى المنصور سنة ١٣٩هـ، فأمر بحبسه وحبس من كان معه، وظل في حبسه حتى مات سنة ١٤٧هـ.

روى البيهقي عن الحاكم بسنده أن عبد الله بن المبارك سئل عن أبي مسلم أهو خير أم الحجاج؟ فقال: لا أقول إن أبا مسلم كان خيراً من أحد، ولكن كان الحجاج شراً منه، قد اتهمه بعضهم على الإسلام، ورموه بالزندقة، ولم أر فيما ذكروه عن أبي مسلم ما يدل على ذلك، بل على أنه كان ممن يخاف الله من ذنوبه، وقد ادعى التوبة فيما كان منه من سفك الدماء في إقامة الدولة العباسية، والله أعلم بأمره.

ثانياً : القضاء على أبي مسلم الخراساني

أراد أبو جعفر أن يصطاد أبا مسلم قبل أن يعود إلى خراسان بعد هذه المعركة، ولم يكن يريد أن يظهر لأبي مسلم مراده، فكتب إلى أبي مسلم (إني قد وليتك مصر والشام فهي خير لك من خراسان.. تكون بقرب أمير المؤمنين، فإن أحب لقاءك أتيته من قريب). فغضب أبو مسلم، وقال: (يوليني الشام ومصر، وخراسان لي). وعزم على عدم تنفيذ الأمر والعودة إلى خراسان. فرر أبو جعفر استعمال الدهاء مع أبي مسلم وبدأت بينهما حرب مراسلات، حتى أرسل أبو جعفر إليه جرير بن يزيد بن جرير بن عبد الله البجلي، في جماعة من الأمراء وأمره أن يكلم أبا مسلم بألين ما يكلم به أحداً، وأن يمنّيه فإن أبى قال له: (هو بريء من العباس إن شققت العصا، وذهبت على وجهك ليدركنك بنفسه وليقاتلنك دون غيره، ولو خضت البحر الخضم لخاضه خلفك، حتى يدركك فيقتلك أو يموت قبل ذلك). وبالفعل يقابل الوفد أبا مسلم فيأبى أن يطيع، أو أن يأتي لمقابلة أبي جعفر، فيبلغاه الرسالة الأخيرة، وسبحان الله! فهذه الكلمات جعلت الجبار أبا مسلم يخنع ويجبن، ويزداد تردداً وحيرة. كما كتب أبو جعفر إلى خليفته أبي مسلم على جند خراسان يعطيه إمامة خراسان ما عاش.. كل هذه الضغوط جعلت أبا مسلم يقرر الذهاب لمقابلة أبي جعفر المنصور الذي تمادى في المكر فأعطاه الأمان، وأظهر له عند دخوله المدائن الاحترام والتقدير ومراسم الاستقبال، ولكنه كان عازماً على قتل أبي مسلم غدراً، وبالفعل قتله وهو يكلمه آمناً على يد بعض حراسه.

١ العلويون بقيادة محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب المعروف بالنفس الزكية، وأخيه إبراهيم، يمتلكان من مبايعة أبي جعفر المنصور بالخلافة، ويعدان العدة للقضاء عليه، ويختفيان عن أنظار الخليفة، ويبثان رجالهما لنشر الدعوة إليهما.

٢ يعد فشل أبي جعفر في الوصول إلى النفس الزكية وأخيه؛ لجأ إلى القبض على عبد الله بن الحسن والد الزعيمين المختفيين وعدده وإيذائه، وقبض أيضاً على نفر من آل البيت، وبعث بهم إلى الكوفة فشدد عليهم الخليفة؛ فاضطر محمد النفس الزكية إلى الظهور بعد أن مكث دهراً يدعو لنفسه سراً.

٣ انظر رقم ٣ داخل الخارطة.

٤ نجحت حيلة المنصور في إجبار محمد النفس الزكية على الظهور بعد القبض على آل بيته، فبعث إليه بجيش كبير يقوده عمه عيسى بن موسى فتمكن من هزيمة الجيش العلوي الأول بقيادة محمد النفس الزكية وقتله بالمدينة المنورة في (١٤ من رمضان ١٤٥هـ / ٦ من ديسمبر ٧٦٢م).

٥ تمكن العباسيون من هزيمة الجيش العلوي الثاني الذي كان يقوده إبراهيم أخو محمد النفس الزكية، الذي تغلب على البصرة والأهواز وفارس، ونجح في القضاء عليه بعد صمود بالغة في (٢٥ من ذي القعدة ١٤٥هـ / ١٤ من يناير ٧٦٣ م) في معركة حاسمة وقعت في "باخمرى" بين الكوفة وواسط.

١ ذكر الطبري: أن سنباذ كان مجوسياً من أهل قرية من قرى نيسابور يقال لها أمن وأنه كثر أتباعه لما ظهر وكان خروجه غضباً لقتل أبي مسلم فيما قيل وطلباً بثأره.

٢ حيثما غلب سنباذ على نيسابور وقومس والري تسمى باسم (فيروز أصبهبذ) من أجل التأكيد على مجوسية دعوته واستولى على خزائن أبي مسلم الخراساني.

٣ شحذ (قنباذ) وقادته همم أتباعه للتوجه لهدم الكعبة المشرفة فقالوا: إنهم عامدون لهدم الكعبة !؟، لكن الله خيب سعيهم وأبطل غايتهم.

خورة سُنباذ (سنباذ) سنة ١٣٧ هـ انتقاماً لمقتل أبي مسلم الخراساني

٢ استطاع المجوسي "سُنباذ"، أن يثأر لمقتل أبي مسلم الخراساني ويلتف حوله الكثيرون من أهل "خراسان"، فهجموا على ديار المسلمين في "نيسابور" و"قومس" و"الري"، فنهبوا الأموال وقتلوا الرجال وسبوا النساء، ثم تبجحوا، فقالوا: إنهم عامدون لهدم الكعبة !؟. فأرسل إليهم المنصور جيشاً بقيادة جمهور بن مرار العجلي، فهزمهم واسترد الأموال والسبايا، ولا يكاد أبو جعفر يتخلص من "سنباذ" سنة ١٣٧هـ/ ٧٥٦م، حتى واجه ثائراً ينادي بخلع المنصور.. هو قائده "جمهور بن مرار العجلي" الذي هزم "سنباذ".. ؟

٣ لما هزم "جمهور" سنباذ، واسترد الأموال، كانت خزائن أبي مسلم الخراساني من بينها، فطمع "جمهور"، فلم يرسل المال إلى الخليفة المنصور، بل ونقض البيعة ونادى بخلع المنصور، فماذا كان من ذلك؟ أرسل المنصور القائد الشجاع "محمد بن الأشعث" على رأس جيش عظيم، فهزم "جمهوراً" وفر هارباً إلى "أذربيجان"، وكانت الموقعة في سنة ١٣٧هـ/ ٧٥٦م.

٢ الراوندية: حركة غريبة ظهرت في أجواء الحياة العباسية (١٤١هـ ٧٥٨م).. وسميت الراوندية نسبة إلى قرية (راوند) القريبة من أصفهان.. وكانوا يؤمنون بتناسخ الأرواح، ثم أعلنوا أن أبا جعفر المنصور هو الإله الذي يرزقهم ويطعمهم. واتجه ستمئة شخص منهم نحو عاصمة الخلافة العباسية في ذلك الوقت (الهاشمية)، وأعلنوا ثورة عارمة على الخليفة المنصور، الذي لم يقرهم على أفكارهم، وطالبهم بالرجوع عن هذه الأفكار، فما هو إلا مجرد خليفة، وعبد من عباد الله، وليس إلهاً.

ومن هنا وجد هؤلاء الراوندية أن الخليفة لا يستحق التقديس، فهم قد رفعوه إلى مرتبة الإلهية، وهو يأبى ذلك، فلابد إذن من الثورة عليه، لأنه لا يستحق هذا الشرف العظيم.. ومن هنا فقد قرروا إعلان الحرب عليه.. وتوجهوا نحو **قصره بالهاشمية**. ومن هنا فقد وقف الخليفة موقفاً في غاية الشجاعة عندما امتطى صهوة حصانه، وأمسك سيفه، وخرج من قصره لمواجهة هؤلاء العصاة المتمردين.. وما كاد الناس يرون شجاعة أمير المؤمنين وهو ممسكٌ بسيفه ويقاتل هؤلاء المتمردين حتى انضموا إليه، وأخذوا يحاربون بجانبه حتى كتب الله لهم النصر المؤزر.

(١) أستاذ سيس؛ رجل فارسي **ادّعى النبوة**، وقاد حركة تهدف إلى تخليص بلاد فارس من قبضة العباسيين، واستطاع بجيوشه الضخمة التي بلغت في بعض الروايات ٢٠٠,٠٠٠ ألف مقاتل، من أجل بسط نفوذه على مناطق سجستان وهراة (هرات)، وكور خراسان وغيرها.

(٢) الأجثم المروزي يخرج في أهل مرو الروذ، لمقاتلة أستاذ سيس قتالاً شديداً حتى قتل الأجثم، وكثر القتل في أهل مرو الروذ، وهزم عدة من القواد؛ منهم معاذ بن مسلم بن معاذ، وجبرائيل بن يحيى، وحماد بن عمرو، وأبو النجم السجستاني، وداود بن كراز.

(٣) **أبو جعفر المنصور** يجيش قوات ضخمة بقيادة **خازم بن خزيمة التميمي**، للقضاء على هذه الحركة، وانتهى الأمر بالقبض على أستاذ سيس وإعدامه .

مازال مرجل الخوارج يغلي ولكنه يغلي على بقية جمر كاد أن يصير رماداً واختلف خوارج اليوم عن خوارج الأمس، فالخوارج على بني أمية كانوا أكثر جمعاً وأشد بأساً، أما الخوارج على بني العباس فكانوا كما وصفهم أحمد أمين بقوله: "كانوا الخوارج في حالة الاحتضار وحركاتهم التي أتوا بها في العهد العباسي تشبه حركة المذبوح" ((ضحى الإسلام)) (٣/٣٢٥).

ومن هنا توالت عليهم الهزائم فلا يخرجون على خليفة إلا ورماهم بكل ما لديه من ثقل إلى أن أصبحوا في وضع لا يمكنهم فيه أن يلفتوا إليهم نظراً، فلا يخشى بأسهم ولا يحسب لقوتهم مثل ما كان لأسلافهم، يقول أحمد أمين في نتيجة هزائمهم: "وكانت هذه الهزائم المتوالية للخوارج سبباً في ضعف أمرهم وقلة شأنهم؛ فلم يعد لهم من القوة والقتال أثر في التاريخ كبير" ((ضحى الإسلام)).

١ الخارجي "مُلَبَّد بن حرملة الشيباني" يخرج في ألف من أتباعه بالجزيرة من العراق، وينضم إليه الكثيرون، فغلب بلاداً كثيرة، إلى أن تمكنت جيوش المنصور بقيادة خازم بن خزيمة من هزيمته في سنة ١٣٨ هـ/ ٧٥٧م.

٢ تحرك الخوارج مرة ثانية في خلافة المنصور سنة ١٤٨هـ بالموصل تحت قيادة "حسان بن مجالد الهمداني"، إلا أن خروجه هو الآخر قد باء بالفشل.

ثورات الخوارج في الجزيرة الفراتية

٠ ١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠ ٤٠٠كم

خوارج المغرب في عهد أبي جعفر المنصور

من هم الإباضية؟

يرجع المذهب الإباضي في نشأته وتأسيسه إلى عصر التابعين؛ فمؤسسه الذي أرسى قواعد الفقه الإباضي وأصوله هو التابعي الشهير: جابر بن زيد الأزدي فهو إمام محدث فقيه، من أخص تلاميذ ابن عباس، وممن روى الحديث عن أُمّ المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) وعدد كبير من الصحابة ممّن شهد بدراً، كان إماماً في التفسير والحديث، وكان ذا مذهب خاص به في الفقه، ولد سنة ٢١ للهجرة، وكان أكثر استقراره بالبصرة وبها توفي سنة ٩٣ للهجرة. ولم ينسب إليه المذهب وإنّما نسب إلى عبد الله بن إباض وهو تابعي أيضاً عاصر معاوية وتوفي في أواخر أيام عبد الملك بن مروان فهي نسبة عرضية كان سببها بعض المواقف الكلامية والسياسية التي اشتهر بها ابن إباض وتميز بها، فنسب المذهب الإباضي إليه. ولم يستعمل الإباضية في تاريخهم المبكر هذه النسبة، بل كانوا يستعملون عبارة "جماعة المسلمين" أو أهل الدعوة". وأول ما ظهر استعمالهم لكلمة الإباضية كان في أواخر القرن الثالث الهجري. ـ عن مقدمة التلي بقصطا تحقيقه لكتاب أبي زكرياء ابن خلفون ٩-١٣

١ استولى عبد الرحمن بن حبيب، أحد الزعماء العرب البارزين على السلطة في إفريقية (المغرب الأدنى) في ظل الفوضى التي ضربت العالم الإسلامي في أثناء الصراع على السلطة بين الأمويين والعباسيين، ودخل القيروان، متطلعاً إلى إقامة دولة مستقلة؛ لكنه اغتيل في سنة ١٣٧ هـ.

٢ أقام الخوارج إمارتين في بلاد المغرب في عهد أبي جعفر قامتا على أكتاف البربر برئاسة زعماء من العرب، واستقلتا استقلالاً يكاد يكون تاماً.

٣ إمارة سجلماسة (الصفرية) ، وهي دولة بني مدرار أو بني واسول « واسول » الصفرية، أسسها رجل سوداني يدعى عيسى بن يزيد المكناسي الصفري، وتدين الدولة بالمذهب الصفري، تشأت في سنة ١٤٠ هـ / ٧٥٧ م في جنوبي المغرب الأقصى في المنطقة شبه الصحراوية التي تضم السهوب والواحات القائمة في الجنوب من جبال الأطلس.

٤ الإمارة الإباضية، تنسب إلى عبد الله بن إباض المري، قامت في المغرب الأوسط سنة ١٤٤ هـ / ٧٦١ م، أسسها رجل فارسي، على الغالب ، هو عبد الرحمن بن رستم، وقد حمل لقب الإمام، وكانت عاصمة الدولة تاهرت التي بناها المؤسس سنة ١٥٠ هـ، وقدر لخلفائه أن يحكموا أكثر من مئة وثلاثين عاماً، وكانوا أشد الخوارج تعصباً.

لم يقف أبو جعفر المنصور أمام هذه التحركات المناهضة للدولة العباسية مكتوف اليدين، حيث أرسل الحملات العسكرية المتلاحقة إلى المغرب لإعادة بسط سيطرة الدولة عليه.

وتمكنت إحدى هذه الحملات بقيادة يزيد بن حاتم ابن قبيصة من الانتصار على الخوارج الإباضية في سنة ١٥٥ هـ ونصبت القيروان ، بعد أن استعادتها الجيوش العباسية بعدة طويلة من الهدوء والاستقرار في ظل حكم أهل السنة.

عبد الرحمن الداخل (صقر قريش) وتأسيس الدولة الأموية في الأندلس

هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب.

وعبد الرحمن بن معاوية هو حفيد هشام بن عبد الملك الذي حكم من سنة ١٠٤ هـ ٧٢٢م إلى سنة ١٢٥ هـ ٧٤٣م. نشأ عبد الرحمن في بيت الخلافة الأموي بدمشق، وكان الفاتح الكبير مسلمة بن عبد الملك عم أبيه يرى فيه أهلاً للولاية والحكم وموضعاً للنجابة والذكاء، وسمع عبد الرحمن ذلك منه مشافهة، مما أثّر في نفسه أثراً إيجابياً.

وعندما أقام العباسيون دولتهم على أنقاض الدولة الأموية، كان هدفهم تعقب الأمويين والقضاء على أفراد البيت الأموي، خشية من محاولة أحدهم استرداد مجدهم، ولاسيما في الشام، لهذا بذلوا الجهود المضنية لتحقيق هذا الهدف.

نجح عبد الرحمن بن معاوية بن هشام الذي اختبأ في قرية متعزلة قريبة من الفرات في سوريا، وكان معه ابنه الطفل سليمان وكان عمره وقتها أربع سنوات، وأخ أصغر مع أختين. وعندما اكتشف العباسيون مكانهم هرب عبد الرحمن مع أخيه الوليد بن معاوية عبر بعض البساتين فتعقبهم العباسيون، لكنهما حاولا عبور النهر فأغراهما العباسيون أن يرجعا ولهما الأمان، فرجع أخوه وغرر به وقتله العباسيون، وكان عمره ثلاث عشرة سنة، بينما نجح عبد الرحمن بن معاوية في الوصول إلى الضفة الأخرى بسلام، ولم تنطلِ عليه مكيدتهم ولحق به مولاه بدر طبقاً لخطة سابقة (انظر الخارطة في الصفحة المقابلة).

نصب تذكاري لعبد الرحمن الداخل (صقر قريش) في مقبرة الكتف الإسبانية

حكام الدولة الأموية في الأندلس ١٣٨ - ٣٩٩ هـ

١- عبد الرحمن الداخل (صقر قريش) ١٣٨ - ١٤٢ هـ
٢- هشام الأول بن عبد الرحمن الداخل ١٧٢ - ١٨٠ هـ
٣- الحكم بن هشام ١٨٠ - ٢٠٦ هـ
٤- عبد الرحمن، الأوسط، بن هشام ٢٠٦ - ٢٣٨ هـ
٥- محمد بن عبد الرحمن ٢٣٨ - ٢٧٣ هـ
٦- المنذر بن محمد ٢٧٣ - ٢٧٥ هـ
٧- عبد الله بن محمد ٢٧٥ - ٣٠٠ هـ
٨- عبد الرحمن (الثالث) ٣٠٠ - ٣٥٠ هـ
٩- الحكم بن عبد الرحمن ٣٥٠ - ٣٦٦ هـ
١٠- هشام الثاني بن الحكم ٣٦٦ - ٣٩٩ هـ

دخول عبد الرحمن الداخل الأندلس سنة ١٣٨ هـ

بدأ **عبد الرحمن بن معاوية** يعدّ العدة **لدخول الأندلس** بعد أن كون جيشاً قوياً والتف حوله عدد من مؤيديه، فعمل على الآتي:

أولاً: أرسل **بدر** – أحد رجاله والقادم معه من دمشق – إلى الأندلس لدراسة الموقف، ومعرفة القوى المؤثرة في الحكم فيها والوضع في الداخل الأندلسي.

ثانياً: راسل كل محبي الدولة الأموية على أرض الأندلس.

ثالثاً: راسل عبد الرحمن بن معاوية البربر في الأندلس، وأعلمهم خطته ورحبوا بذلك لمعرفتهم بعدل الأمويين وإنصافهم لهم، وكانوا في ذلك الوقت على خلاف شديد جداً مع **يوسف بن عبد الرحمن الفهري**؛ لأنه فرّق بينهم وبين العرب في شمالي إفريقيا، فهم يريدون أن يتخلّصوا من حكمه الذي عاملهم بهذه العنصرية.

رابعاً: راسل كل الأمويين في الأصقاع أنه عازم على الدخول إلى الأندلس وإقامة الدولة الأموية فيها؛ فالتحق به كافة الأمويين في الشام وغيرها من البلاد.

وفي ربيع الثاني سنة (١٣٨هـ - ٧٥٥) عَبَرَ عبد الرحمن بن معاوية بجيشه القوي ومن معه من القادة **مضيق جبل طارق** إلى داخل الأندلس بهيبة وعظمة الفاتحين المنتصرين، وانضم إليه أنصاره وأخضع كافة البلاد في طريقه وزحف إلى إشبيلية واستولى عليها وبايعه أهلها، ثم نجح في دخول **قرطبة** العاصمة، بعد أن هزم جيش يوسف بن عبد الرحمن الفهري في **موقعة المصارة** في العاشر من ذي الحجة سنة ١٣٨هـ ليسيطر على كافة أرجاء الأندلس.

الجبهة البيزنطية في عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور

١ اتسمت الحروب بين المسلمين والبيزنطيين في هذا العهد **بالتهادنة** إلى حد ما، إذ لم تتعدّ المناوشات الحدودية المحدودة، وذلك يعود إلى اهتمام العباسيين بتدعيم مركزهم الداخلي بينما كان همّ الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الخامس منصباً على التجهيز لحرب البلغار في البلقان.

٢ **منطقة الثغور الشامية:** هي التي خصصت للدفاع عن بلاد الشام، وتقع غربي الثغور الجزرية، ومن أهم حصونها: طرسوس، وأذنة، ومنبج، والمصيصة.

٣ **منطقة الثغور الجزرية:** هي التي خصصت للدفاع عن الجزيرة الفراتية، ومن أهم حصونها: مرعش والحدث وملطية وعين زربة وبطرة.

٤ في سنة ١٣٣ هـ تعرضت ملطية لهجوم بيزنطي عنيف بقيادة الإمبراطور الذي تمكن من دخولها، وقهر أهلها وهدم سورها؛ بيد أن أبا جعفر المنصور سرعان ما قام باستعادتها وترميمها وشحنها بالمقاتلة لأهميتها الإستراتيجية، ورمم مرعش، وبنى المصيصة. واستطاع العباسيون في سنة ١٥٨ هـ بقيادة معيوف بن يحيى دحر قوة بيزنطية بالقرب من مدينة الحدث.

إحدى الروابي الخضر في مرعش التركية والتي كانت من أبرز مناطق الثغور الجزرية

إحدى المغارات المنتشرة في جبال مرعش التركية

بناء مدينة بغداد (المدينة المدورة - دار السلام) سنة ١٤٥ هـ

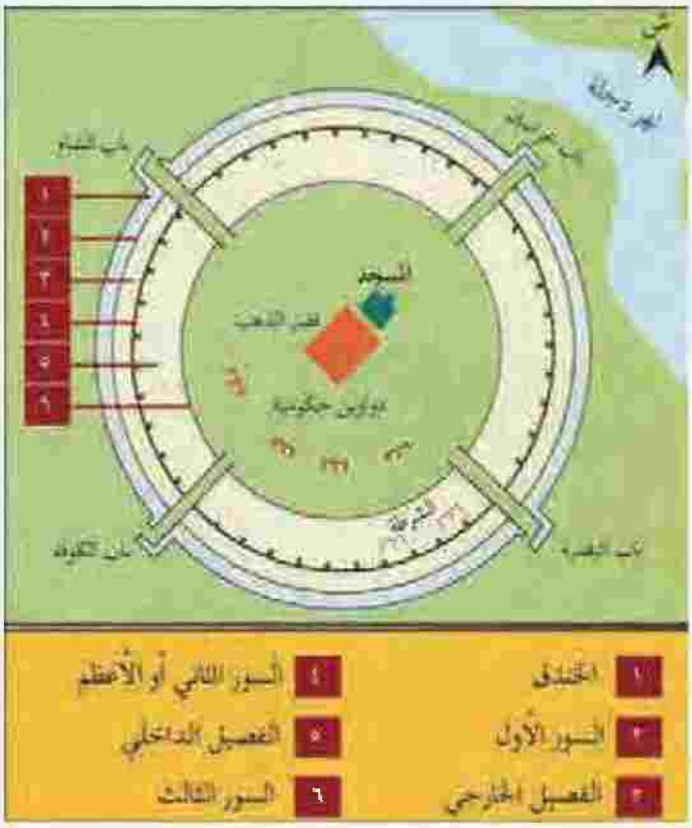

تعد مدينة بغداد من المدن التي ترتبط بتاريخ الخلافة العباسية إن لم يكن تاريخ العالم الإسلامي خلال القرون الخمسة من سنة ١٥٠هـ/٧٦٧م إلى٦٥٦هـ/١٢٥٨م، حيث رأى **أبو جعفر المنصور** أن يتخذ من بغداد عاصمة له بعدما قضى على منافسيه من العباسيين والعلويين في سنة ١٤٥ هـ ٧٦٢م، فبنى أبو جعفر المنصور على نهر دجلة عاصمته بغداد في سنة (١٤٥ - ١٤٩ هـ) ٧١٠ م على شكل دائري، وهو اتجاه جديد في بناء المدن الإسلامية، لأن معظم المدن الإسلامية، كانت إما مستطيلة كالفسطاط، أومربعة كالقاهرة، أوبيضاوية كصنعاء. ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أن هذه المدن نشأت بجوار مرتفعات حالت دون استدارتها.

ويعد تخطيط المدينة المدورة (بغداد)، ظاهرة جديدة في الفن المعماري الإسلامي، ولاسيما في المدن الأخرى التي شيدها العباسيون مثل: مدينة سامراء وما حوته من مساجد وقصور خلافية فخمة. وإلى جانب العمارة وجدت الزخرفة التي وصفت بأنهما لغة الفن الإسلامي، وتقوم على زخرفة المساجد والقصور والقباب بأشكال هندسية أو نباتية جميلة، تبعث في النفس الراحة والهدوء والانشراح. وسمي هذا الفن الزخرفي الإسلامي في أوروبا باسم أرابسك[1].

وذكر عن عيسى بن المنصور أنه قال: وجدت في خزائن أبي المنصور في الكتب أنه أنفق على مدينة السلام (بغداد) وجامعها وقصر الذهب بها والأسواق والفصلان والخنادق وقبابها وأبوابها أربعة آلاف ألف وثمانمائة وثلاثين درهماً ومبلغها من الفلوس مائة ألف ألف فلس وثلاثة وعشرون ألف فلس، وذلك أن الأستاذ من البنائين كان يعمل يومه بقيراط فضة والروزكاي بحبتين إلى ثلاث حبات.

---

١ - الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

مَدِينَة المنصُور المدَوّرة

تحقيق الدكتور مصطفى جواد والدكتور احمد سوسه

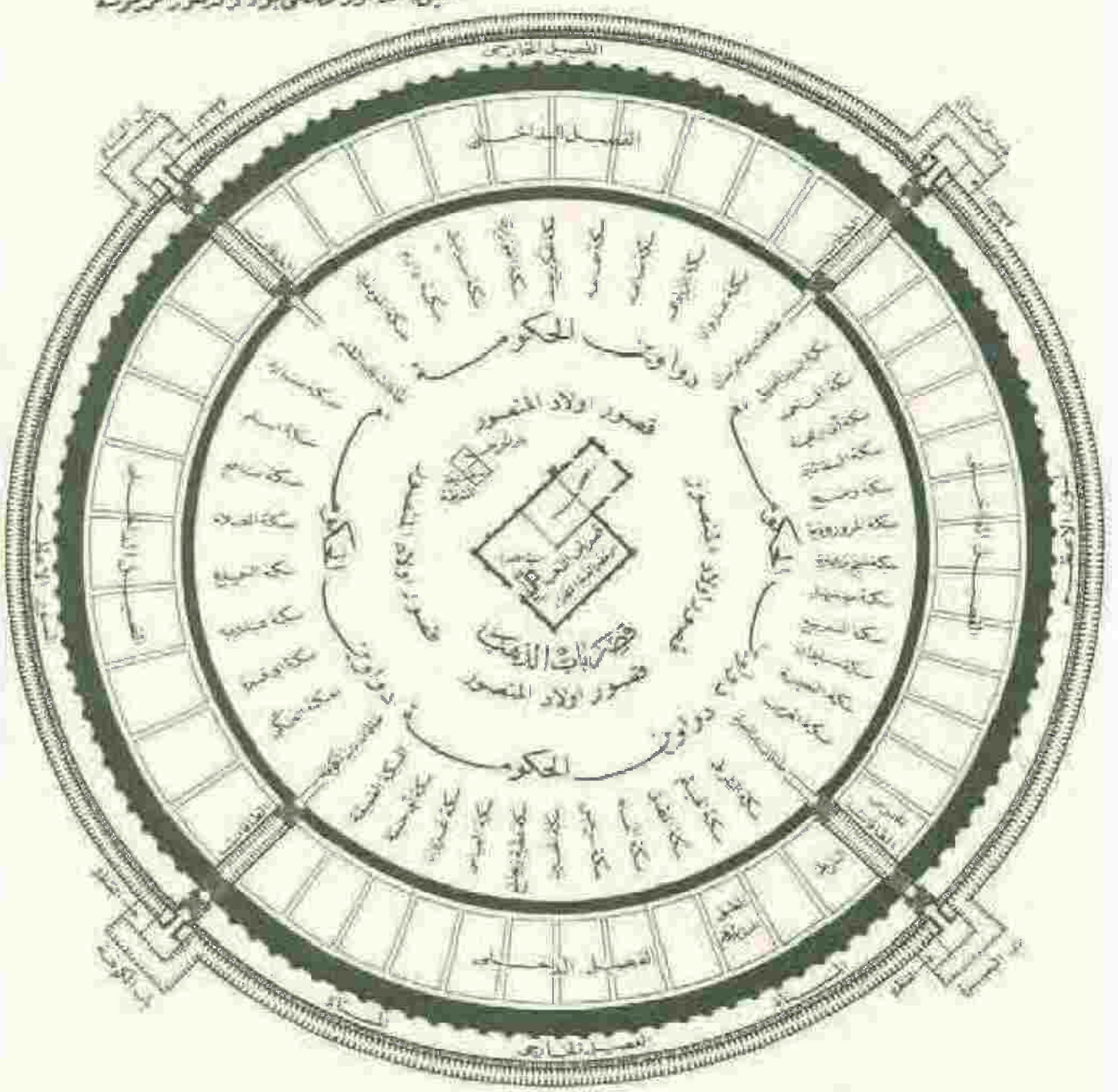

قصر عيسى بن علي عم المنصور وهو أول قصر بناه الهاشميون العباسيون ببغداد

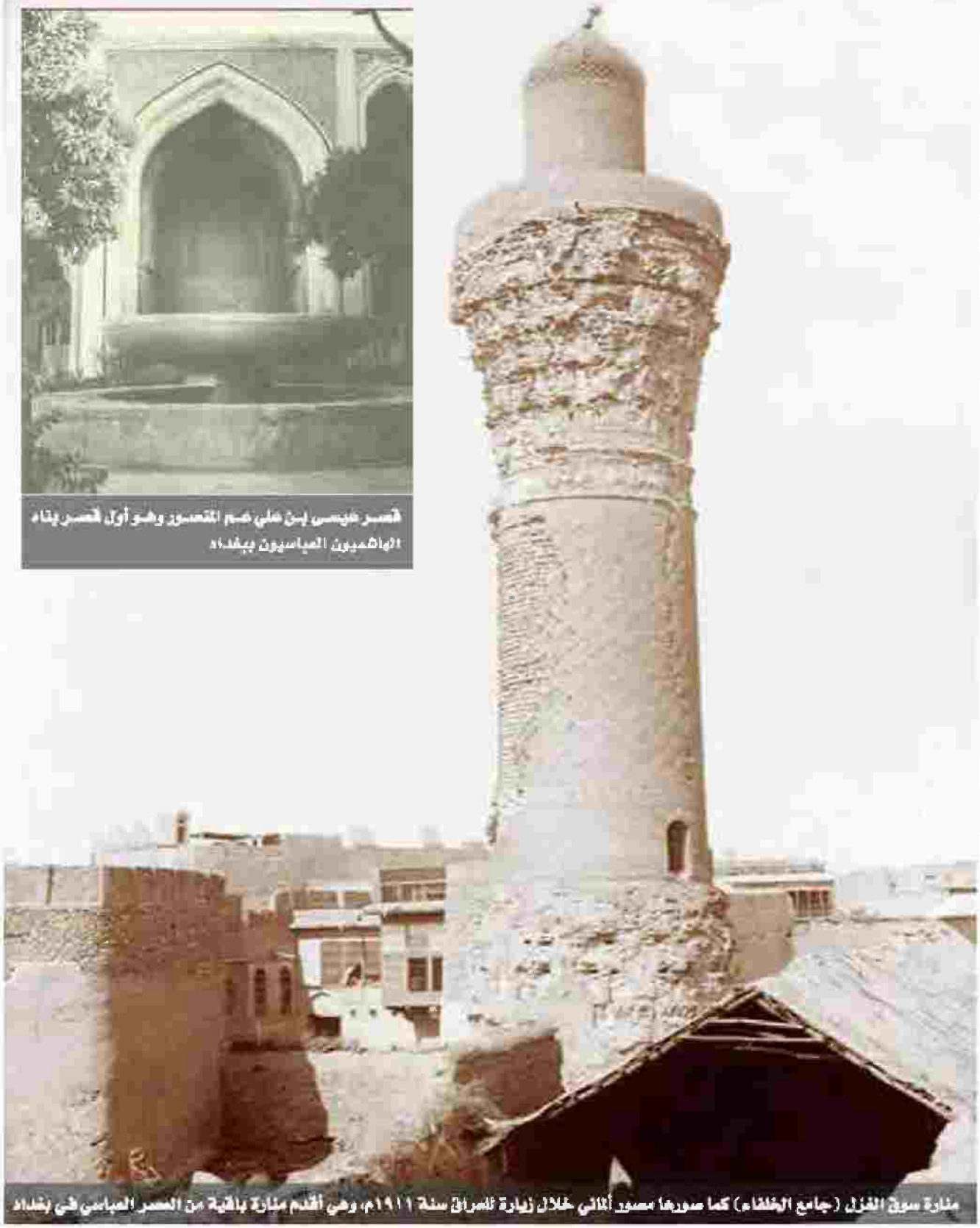

منارة سوق الغزل (جامع الخلفاء) كما صورها مصور ألماني خلال زيارة للعراق سنة ١٩١١م، وهي أقدم منارة باقية من العصر العباسي في بغداد

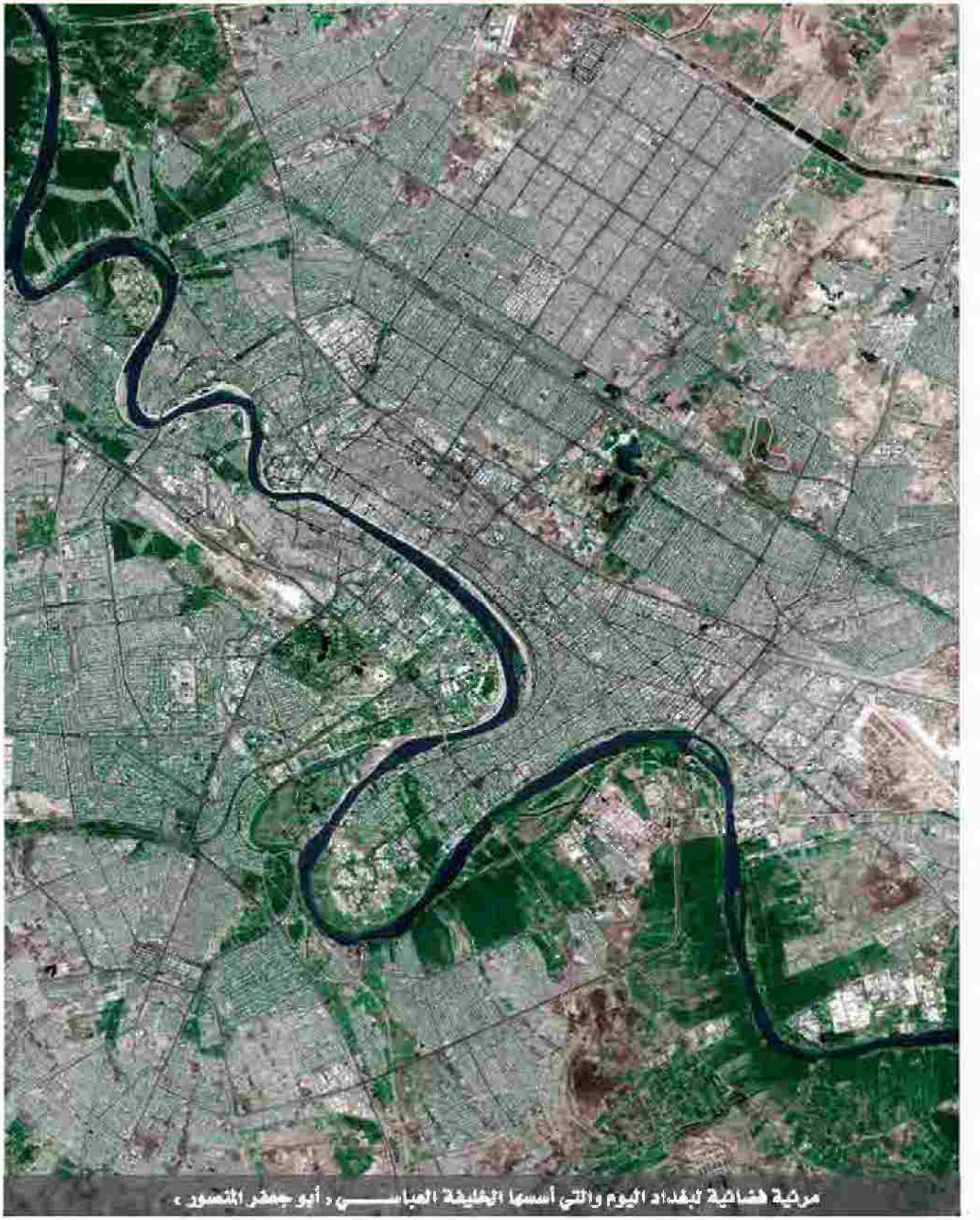

مرئية فضائية لبغداد اليوم والتي أسسها الخليفة العباسي « أبو جعفر المنصور »

محمد المهدي

١٥٨-١٦٩هـ / ٧٧٥-٧٨٥م

هو **أبو عبد الله محمد** بن المنصور ولد بأيذج سنة سبع وعشرين ومائة، وقيل: سنة ست وعشرين، وأمه أم موسى بنت منصور الحميرية. كان جواداً ممدحاً مليح الشكل محبباً إلى الرعية، حسن الاعتقاد، تتبع الزنادقة وأفنى منهم خلقاً كثيراً، وهو أول من أمر بتصنيف كتب الجدل في الرد على الزنادقة والملحدين، روى الحديث عن أبيه وعن مبارك بن فضالة. حدث عنه يحيى بن حمزة وجعفر ابن سليمان الضبعي ومحمد بن عبد الله الرقاشي وأبو سفيان سعيد بن يحيى الحميري، قال الذهبي: وما علمت قيل فيه جرحاً ولا تعديلاً.

ولما شب المهدي أمّره أبوه على طبرستان وما والاها، وتأدب وجالس العلماء وتميز؛ ثم إن أباه عهد إليه فلما مات بويع بالخلافة ووصل الخبر إليه ببغداد فخطب الناس، فقال: إن أمير المؤمنين عبد دعي فأجاب، وأمر فأطاع. واغرورقت عيناه، فقال: قد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند فراق الأحبة، ولقد فارقت عظيماً، وقلدت جسيماً، فعند الله أحتسب أمير المؤمنين، وبه أستعين على خلافة المسلمين، أيها الناس: أسروا مثل ما تعلنون، من طاعتنا نهبكم العافية وتحمدوا العاقبة، واخفضوا جناح الطاعة لمن نشر معدلته فيكم، وطوى الإصر عنكم، وأهال عليكم السلامة من حيث رآه الله مقدماً، ذلك والله لأفنين عمري بين عقوبتكم والإحسان إليكم. قال نفطويه: لما حصلت الخزائن في يد المهدي أخذ في رد المظالم، فأخرج أكثر الذخائر ففرقها وبر أهله ومواليه.

وأسند عن أبي عبيدة قال: كان المهدي يصلي بنا الصلوات الخمس في المسجد الجامع بالبصرة لما قدمها، فأقيمت الصلاة يوماً فقال أعرابي: لست على طهر وقد رغبت في الصلاة خلفك، فأمر هؤلاء بانتظاري، فقال: انتظروه. ودخل المحراب فوقف إلى أن جاء الرجل فكبر، فعجب الناس من سماحة أخلاقه.

مما قاله أبو العتاهية في مدح الخليفة المهدي يوم توليه الخلافة:

أتتك الخلافة منقادة ... إليك تجر ذيولها

ولم تك تصلح إلا له ... ولم يك يصلح إلا لها

ولو رامها أحد غيره ... لزلزلت الأرض زلزالها

ولو لم تطعه بنات القلوب ... لما قبل الله أعمالها

وإن الخليفة من يعصني ... إليه ليبغض من قالها

المقنع الخراساني، اسمه عطاء ولا أعرف اسم أبيه وقيل اسمه حكيم والأول أشهر، وكان في مبدأ أمره قصاراً من أهل **مرو**، وكان يعرف شيئاً من السحر والنيرجات فادعى الربوبية من طريق المناسخة، وقال لأشياعه والذين اتبعوه: إن الله سبحانه وتعالى تحول إلى صورة آدم ولذلك قال للملائكة: اسجدوا له فسجدوا إلا إبليس، فاستحق بذلك السخط، ثم تحول من آدم إلى صورة نوح عليه السلام، ثم إلى صورة واحد فواحد من الأنبياء عليهم السلام والحكماء، حتى حصل في صورة **أبي مسلم الخراساني**، ثم زعم أنه انتقل إليه منه، فقبل قوم دعواه وعبدوه وقالوا دونه مع ما عاينوا من عظيم ادعائه، وقبح صورته لأنه كان مشوه الخلق أعور، أكحل قصيراً، وكان لا يسفر عن وجهه بل اتخذ وجهاً من ذهب فتقنع به؛ فلذلك قيل له المقنع، وإنما غلب على عقولهم بالتمويهات التي أظهرها لهم بالسحر والنيرجات، وكان في جملة ما أظهر لهم صورة قمر يطلع ويراه الناس من مسافة شهرين من موضعه، ثم يغيب فعظم اعتقادهم فيه، وقد ذكر أبو العلاء المعري هذا القمر في قوله: (أفق إنما البدر المقنع رأسه ... ضلال وغي مثل بدر المقنع) وهذا البيت من جملة قصيدة طويلة، وإليه أشار أبو القاسم هبة الله بن سناء الملك الشاعر ... في جملة قصيدة طويلة بقوله (إليك فما بدر المقنع طالعاً ... بأسحر من ألحاظ بدر النعم) ولما اشتهر أمر المقنع وانتشر ذكره، ثار عليه الناس وقصدوه في قلعته التي كان اعتصم بها وحصروه؛ فلما أيقن بالهلاك جمع نساءه وسقاهن سماً فمتن منه؛ ثم تناول شربة من ذلك السم فمات، ودخل المسلمون قلعته فقتلوا من فيها من أشياعه وأتباعه وذلك في **سنة ثلاث وستين ومائة** لعنه الله تعالى ونعوذ بالله من الخذلان.

قلت: ولم أر أحداً ذكر هذه القلعة وأين هي حتى أذكرها؟ ثم رأيت في كتاب الشهاب لياقوت الحموي الآتي ذكره إن شاء الله تعالى الذي وضعه في معرفة المواضع المشتركة، فقال في باب سنام بفتح السين: إنها أربعة مواضع والموضع الرابع منها سنام قلعة عمرها المقنع الخارجي بما **وراء النهر** والله أعلم، والظاهر أنها هذه القلعة ثم وجدت في أخبار خراسان أنها هي وأنها من **رستاق كش** والله أعلم. - ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء الزمان.

الدولة الأموية في الأندلس ومواجهة التحديات الكبرى

واجه عبد الرحمن (الداخل) بن معاوية في الأندلس عقبات عدة كان من أبرزها في عهد الخليفة العباسي (المهدي):

١ - مشكلة الرماحس الكتاني في الجزيرة الخضراء، وعبد الرحمن بن حبيب الفهري (الصقلبي) في مدينة مرسية، والحسين بن يحيي الأنصاري في مدينة سرقسطة، وسليمان بن يقظان الكلبي (الأعرابي) في برشلونة، وكذلك الإمبراطور شارلمان (أرض الفرنجة) ، حيث يذكر المؤرخون أنه كانت هناك مؤامرة بين هذه الأطراف لتوجيه ضربة قاضية لعبد الرحمن الداخل، وبمباركة من العباسيين: إلا أنه خرج منها بحنكة، حيث انفرد بخصومه واحداً تلو الآخر، فتوجه أولاً لمواجهة الصقلبي في مرسية حيث تمكن من هزيمته وقتله، أما الرماحس الذي ثار في الجزيرة الخضراء فقد وجه إليه عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان حيث تمكن من هزيمة الرماحس الذي فر إلى المشرق لاجئاً عند الدولة العباسية، أما سليمان الأعرابي الذي تمكن من هزيمة الجيش الذي أرسله عبد الرحمن الداخل بقيادة ثعلبة بن عبيد، حيث تم لسليمان الأعرابي أسر ثعلبة، وخرج به لاستقبال شارلمان وتوجه الاثنان إلى سرقسطة حيث كان هناك اتفاق بين سليمان الأعرابي والحسين الأنصاري لتسليم مدينة سرقسطة لشارلمان، لاتخاذها قاعدة في محاربة عبد الرحمن الداخل، ولكن الحسين الأنصاري غير رأيه وواجه شارلمان وحليفه سليمان الأعرابي، واضطر شارلمان بعد حوالي شهرين مغادرة سرقسطة، ولكنه حمّل سليمان الأعرابي مسؤولية فشله وأخذه أسيراً معه، ولكن عندما وصل جبال البرانس انقض عليه البشكنس وهم قبائل تسكن المنطقة، وكان معهم أولاد سليمان الأعرابي وقواته، فأنزلوا بمأخرة جيش شارلمان هزيمة كبيرة، قتل فيها أحد قادة شارلمان ويدعى رولان، حيث فك أسر سليمان الأعرابي عن طريق ولديه مطروح وعيشون إلا أن الحسين الأنصاريي قام بقتل سليمان الأعرابي، فاستغل عبد الرحمن الخلاف بين سليمان الأعرابي والحسين الأنصاري ذلك، وتمكن من إنهاء هذه الفتنة ودخل سرقسطة، ويختلف المؤرخون في تاريخ ذلك، فمنهم من يرى ذلك في سنة ١٦١هـ والبعض الآخر يرى ذلك في سنة ١٦٤هـ .

٢ - لم تكن هذه المشكلات الوحيدة التي واجهت عبد الرحمن الداخل، فهناك مشكلات عديدة سواء من هشام بن عروة في طليطلة وهو أحد أنصار يوسف الفهري، أو من أحد زعماء البربر يدعى شقنة بن عبد الواحد الذي تمرد في شمال شرقي الأندلس، ولكن عبد الرحمن تمكن من القضاء على هذه الثورات والتمردات جميعها.

٢ حكم شارلمان مملكة الفرنجة (الإمبراطورية الكارولنجية) مناصفة مع شقيقه كارلومان حتى موت الأخير عام ٧٧١. عندها أسس شارلمان الملك الوحيد لشعبه، فقام بحملات واسعة للسيطرة على الأراضي الأوروبية المجاورة لمملكته ولتنصيرها بالنصرانية. فهزم اللومبارديين في شمال إيطاليا وضم إقطاعياتهم عام ٧٧٤. وحاول طرد المسلمين من إسبانيا ولكنه فشل في ذلك عام ٧٧٨م، ونجح في السيطرة على بافاريا عام ٧٧٨.

حارب شارلمان السكسون لسنوات عديدة فهزمهم وأدخلهم في النصرانية عام ٨٠٤م، وأخضع أيضاً الآفاريين المتمركزين على الدانوب وسيطر على العديد من الدول السلافية. وهكذا تمكن من إنشاء إمبراطورية ضمت معظم الأراضي النصرانية في أوروبا الغربية باستثناء الجزيرة البريطانية، جنوبي إيطاليا وجزء من إسبانيا.

الحركات المناهضة للوجود الأموي في الأندلس

١ سليمان بن يقظان الكلبي (الأعرابي) يستعين بشارلمان ملك الفرنجة على عبد الرحمن الداخل، فقام جيش شارلمان وحاصر سرقسطة ولكن ثورة اندلعت في فرنسا فاضطر شارلمان للعودة إلى بلاده وفك الحصار عنها.

٣ ثار على الداخل ابن أخيه المغيرة بن الوليد طمعاً في الحكم فقتله الداخل وأرسل الأموال إلى أخيه الوليد وطلب منه الرحيل عن الأندلس.

لقد تمخض عن هذه الثورات في بلاد الأندلس ثمناً غالياً جداً، ففي السنوات الأربع من بداية دخول عبد الرحمن (الداخل) بن معاوية إلى الأندلس، من سنة ١٣٨هـ= ٧٥٥ م وحتى سنة ١٤٢هـ= ٧٥٩ م سقطت كل **مدن المسلمين التي كانت في فرنسا**، وذلك بعد أن حكمها الإسلام طيلة سبع وأربعين سنة متصلة، منذ أيام موسى بن نصير - رحمه الله - وحتى زمن سقوطها هذا، وهكذا ستن الله الثوابت، ما إن شُغل المسلمون بأنفسهم إلا وكان التقلّص والهزيمة أمراً حتمياً...

وحين استتبّ الأمر لعَبْد الرّحْمَن الدّاخِل في أرض الأندلس، وبعد أن انتهى نسبياً من أمر الثورات بدأ يفكر فيما بعد ذلك، فكان أن اهتم بالأمور الداخلية للبلاد اهتماماً كبيراً، فعمل على ما يلي:

أولاً: بدأ بإنشاء جيش قوي. في بنائه لجيشه الجديد عمل على ما يلي:

١) اعتمد في تكوين جيشه على العناصر الآتية:

أ - اعتمد في الأساس على عنصر المولّدين، وهم الذين نشأوا - كما ذكرنا - نتيجة انصهار وانخراط الفاتحين بالسكان الأصليين من أهل الأندلس، وكانوا يمثّلون غالبية بلاد الأندلس.

ب - اعتمد كذلك على كل الفصائل والقبائل الموجودة في بلاد الأندلس، فضمّ إليه كل الفصائل المضرية سواء أكانت من بني أمية أو من غير بني أمية، وضمّ إليه كل فصائل البربر، كما كان يضمّ إليه رءوس القوم ويتألّفهم فيكونون عوامل مؤثّرة في أقوامهم، بل إنه ضم إليه اليمنيين مع علمه بأن أبا الصباح اليحصبي كان قد أضمر له مكيدة، الأمر الذي جعله يصبر عليه حتى تمكن من الأمور تماماً ثم عزله - كما ذكرنا - بعد إحدى عشرة سنة من تولّيه الحكم في البلاد.

ج - كذلك اعتمد على عنصر الصقالبة، وهم أطفال نصارى كان قد اشتراهم عَبْد الرّحْمَن الدّاخِل من أوروبا، ثم قام بتربيتهم وتنشئتهم تنشئة إسلامية عسكرية صحيحة.

وبرغم قدوم عَبْد الرّحْمَن الدّاخِل إلى الأندلس وحيداً، فقد وصل تعداد الجيش الإسلامي في عهده إلى مائة ألف فارس غير الرجّالة، مشكّل من كل هذه العناصر السابقة، والتي ظلّت عماد الجيش الإسلامي في الأندلس لدى أتباع وخلفاء وأمراء بني أمية من بعده.

٢) أنشأ - رحمه الله - دُوراً للأسلحة، فأنشأ مصانع السيوف ومصانع المنجنيق، وكان من أشهر هذه المصانع مصانع طليطلة ومصانع برديل.

٣) أنشأ أيضاً أسطولاً بحرياً قوياً، بالإضافة إلى إنشاء أكثر من ميناء كان منها ميناء طرطوشة وألمرية وإشبيليّة وبرشلونة وغيرها من الموانئ. د. راغب السرجاني (موقع قصة الإسلام).

اهتم عبد الرحمن الداخل بدولته فأعد جيشاً قوياً، وتأميناً لحدود دولته الجديدة قام بخوض **مرحلتين مهمتين**:

المرحلة الأولى: كان عَبْد الرَّحْمَن الدَّاخِل يعلم أن الخطر الحقيقي إنما يكمن في دولتي "ليون" في الشمال الغربي، و"مملكة الفرنجة" في الشمال الشرقي من بلاد الأندلس، فقام بتنظيم الثغور في الشمال، ووضع جيوشاً ثابتة على هذه الثغور المقابلة لهذه البلاد النصرانية، وأنشأ مجموعة من الثغور كما يلي:

- الثغر الأعلى، وهو ثغر "سَرَقُسْطَة" في الشمال الشرقي في مواجهة لفرنسا.
- الثغر الأوسط، ويبدأ من مدينة سالم ويمتد حتى طُلَيْطُلَة.
- الثغر الأدنى، وهو في الشمال الغربي في مواجهة مملكة "ليون" النصرانية.

المرحلة الثانية: كان - رحمه الله - قد تعلم من آبائه وأجداده عادة عظيمة، وهي عادة الجهاد المستمر وبصورة منتظمة كل عام، فقد اشتهرت الصوائف في عهده، حيث كان المسلمون يخرجون للجهاد في الصيف، وبصورة منتظمة وذلك حين يذوب الجليد، وكان يتناوب عليهم فيها كبار قوّاد الجيش، وأيضاً كان يُخرِّج الجيوش الإسلامية إلى الشمال كل عام بهدف الإرباك الدائم للعدو، وهو ما يسمونه الآن في العلوم العسكريه بالهجوم الإجهاضي المسبق.

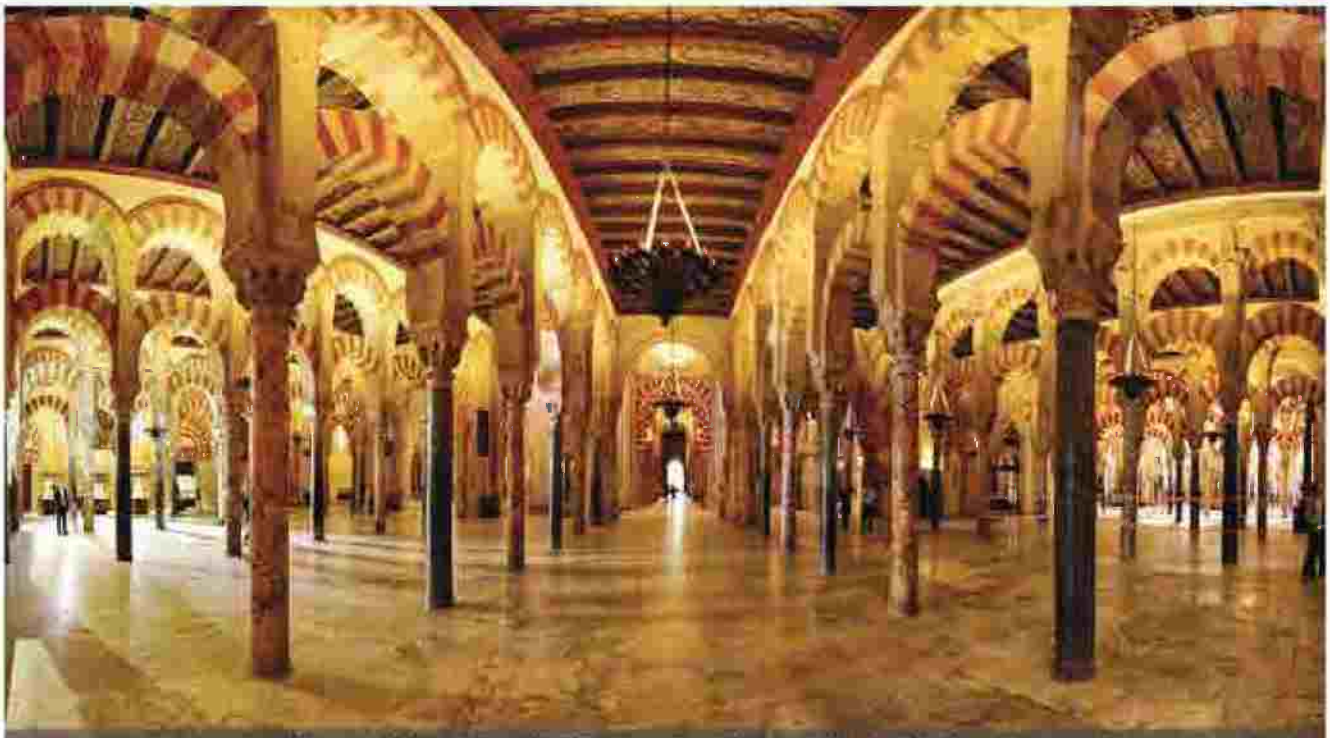

صورة بانورامية للجامع الكبير بقرطبة ويتضح من خلال الصورة العدد الكبير من الأعمدة

محراب المسجد وفن زخرفة الأقواس وجمال النقوش الكتابية الإسلامية التي تزين الجامع

البوابة الجنوبية (الجانب الشرقي) في الجامع الكبير بقرطبة يعود بناؤها إلى عصر المنصور

مع قدوم الأمير الأموي عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) إلى الأندلس هارباً من العباسيين، استولى على مقاليد الأمور في الأندلس الإسلامية وجعل **قرطبة** عاصمة له عام ١٣٨ هـ. وقد كان هذا بداية لعصر قرطبة الذهبي، حيث أصبحت عاصمة الأندلس الإسلامية بأكملها وأهم مدينة في شبه الجزيرة الإيبرية، وفي عهد الداخل بدأ العمل على جامع قرطبة الكبير الذي لا زال قائماً في المدينة اليوم كما هو واضح من خلال الصور في الصفحتين. فهو من قام بتأسيس المسجد الكبير في قرطبة عام ١٧٠هـ، ولم يكتمل البناء في عهده بل اكتمل في عهد خلفائه من الأمراء الأمويين فكل واحد منهم أضاف شيئاً في هذا البناء العظيم .

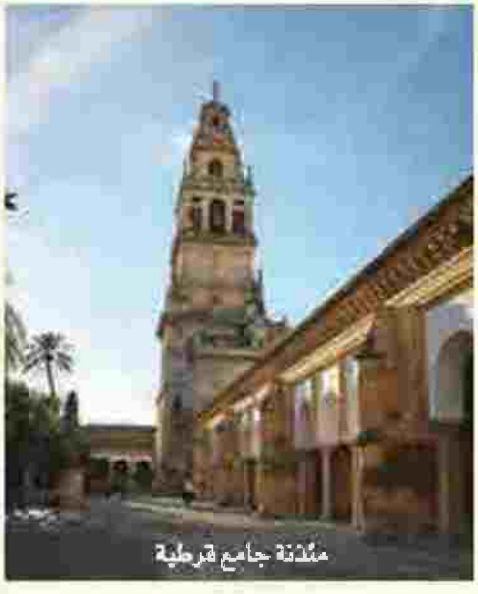

مئذنة جامع قرطبة

كانت الهدنة بين الطرفين تنص على توقف الحرب بين المسلمين والبيزنطيين مدة ثلاث سنوات، وتتعهد إيريني أن تدفع للمسلمين جزية سنوية وقدرها سبعون ألف قطعة دينار لإدامتها في نيسان الأول من كل سنة وفي حزيران ، وأن تمدّ الجيش العباسي بالأدلاء ، وتيسر لهم الماء في الطريق عند كل منزلة.

الجبهة البيزنطية في عهد الخليفة العباسي المهدي

١ اتسمت الحروب بين المسلمين والبيزنطيين في هذا العهد **بالعلاقة الحسنة بين الطرفين أول الوقت**؛ إلا أنها سرعان ما تحولت إلى صراع دامي تمخض عنه قيام الإمبراطور (ليو الرابع) بشن هجوم على **سميساط** سنة ١٥٩ هـ، وأسر بعض المسلمين فيها؛ مما أغضب الخليفة المهدي، الذي أرسل جيشاً بقيادة عمه **العباس بن محمد**، توغل داخل الأراضي البيزنطية حتى وصل **أنقرة**، وفتح قلعة كاسن في كبادوكيا .

٢ الخليفة المهدي يرسل قائده المحنك **ثمامة بن الوليد** على رأس جيش إسلامي أغار على مرعش ومنطقة **مرج دابق**، مما دعا الإمبراطور البيزنطي أن يرسل جيشاً لمحاصرة **مرعش**، وفصل قوة إسلامية باتجاه **الحدث**، وبرغم ذلك لم يتمكن البيزنطيون من دخول مرعش وعادوا أدراجهم.

٣ الخليفة المهدي يرسل **الحسن بن قحطبة الطائي** لغزو الأراضي البيزنطية، مما أدى بهذا القائد التوغل بأرض الأناضول ومحاصرة **دوريليوم**، والإغارة على المناطق المجاورة، والاقتراب من **عمورية**.

٤ البيزنطيون يغيرون على **الحدث** سنة ١٦٢ هـ؛ فأرسل المهدي ابنه هارون للإغارة على الأراضي البيزنطية؛ ففتح عدداً من الحصون أهمها **سمالو**، وحدثت أحداث داخل بيزنطة، استغلها العباسيون، فأرسلوا حملة ضخمة لمهاجمة **القسطنطينية** بقيادة هارون بن المهدي، واستطاعت الحملة التوغل في كبادوكيا والأناضول بهدف السيطرة عليها، ووصل هارون خليج القسطنطينية وهددها وخضعت (إيريني) الوصية على قسطنطين السادس بن ليو الرابع؛ لشروط **الهدنة** من القائد **هارون بن المهدي** الذي جعل أباه يسميه (**الرشيد**) بعد نجاحه في هذه الهدنة.

ومن الملفت للنظر أنه قبل انتهاء مدة الهدنة بأربعة أشهر تجدد القتال بين الطرفين ؛ لامتناع البيزنطيين عن دفع الجزية للمسلمين، ويظهر أن سوء الأحوال الاقتصادية كان سبباً مباشراً في ذلك، فقد رأت إيريني بنظرتها الخاطئة أن معالجة هذه الأوضاع لا يكون من الداخل؛ حتى لا تفقد محبة الناس لها وتستبعد عن الحكم، وبناء على ذلك تجاوزت عن كثير من الضرائب المقررة على السكان، وأمعنت في منح امتيازات للأديرة؛ لما للرهبان من أهمية في تأييدها ومساعدتها فرأت في الامتناع عن دفع الجزية تعويضاً لهذا؛ ظناً منها أن المسلمين بعيدون عن أراضيها وليس لهم في تلك الأموال أي حق يذكر، وأنهم لن يتمكنوا من عمل أي شيء في هذا الصدد.

وعليه فقد سيّر **المهدي** سرية على رأسها علي بن سليمان (والي الجزيرة وقنسرين) ويزيد بن بدر ابن البطال - سنة ١٦٨هـ/ ٧٨٤م - وصلت إلى بلاد الروم وقاتلت البيزنطيين وهدمت بعض القلاع التي على الحدود وغنموا وعادوا سالمين .

كما اصطدم معيوف بن يحيى الذي انطلق على رأس الصائفة سنة ١٦٩هـ/ ٧٨٥م بالجيش البيزنطي الذي تحرك بأمر من إيريني ؛ لرد اعتبار الروم بعد هزيمتهم الأخيرة، وتقابل الجيشان في منطقة الحدث وهُزم البيزنطيون وتوغل المسلمون في بلاد الروم حتى بلغوا مدينة أُشْنُة وأصابوا غنائم وفيرة وأسروا خمسمئة رجل - تقريباً -.

وهكذا تعكرت العلاقات بين الخلافة العباسية والدولة البيزنطية في عهد المهدي بعد التحسن الذي طرأ عليها أول خلافته، لقد رأى المهدي ضرورة استمرار غزوات الصوائف والشواتي، مثلما كان عليه الحال في عهد أبيه المنصور؛ لأن إيقافها سيدفع البيزنطيين إلى التحرك لمهاجمة المسلمين كلما سنحت لهم الفرصة، ويلاحظ اعتماده في قيادتها على ابنه هارون، حيث كان محل ثقته من بين أبنائه ولذلك حقق انتصارات كبيرة في معظم حملاته، حتى أشرف في أحدها - سنة ١٦٥هـ / ٧٨١م - على خليج **البحر الأسود** فكانت حملته تلك خاتمة الحملات العربية على البسفور، كما أفاد بعض المؤرخين المحدثين، حيث أظهر فيها من الحنكة والبطولة ما أهلّه لحمل **لقب الرشيد** قبل أن يتولى الخلافة.

وكان لانتصارات الرشيد على الإمبراطورية البيزنطية أثره في تشجيع البلغار على توجيه حملاتهم ضدها، وتمكنوا من إحراز عدة انتصارات عليها دون أن تستطيع القيام بعمل إيجابي ضدّهم، فلقد كانت إيريني - إلى جانب مواجهة المسلمين لها - تعاني من الاضطرابات الداخلية، فقد بدأ ابنها - قسطنطين السادس - بعد أن بلغ سنّ الرشد يطالب بالعرش ودخل معها في صراع مرير، وساندته بعض العناصر الكارهة لأمه، كما كان عليها أيضاً أن تواجه أطماع شارلمان في الغرب .

توسعة المسجد الحرام عبر التاريخ

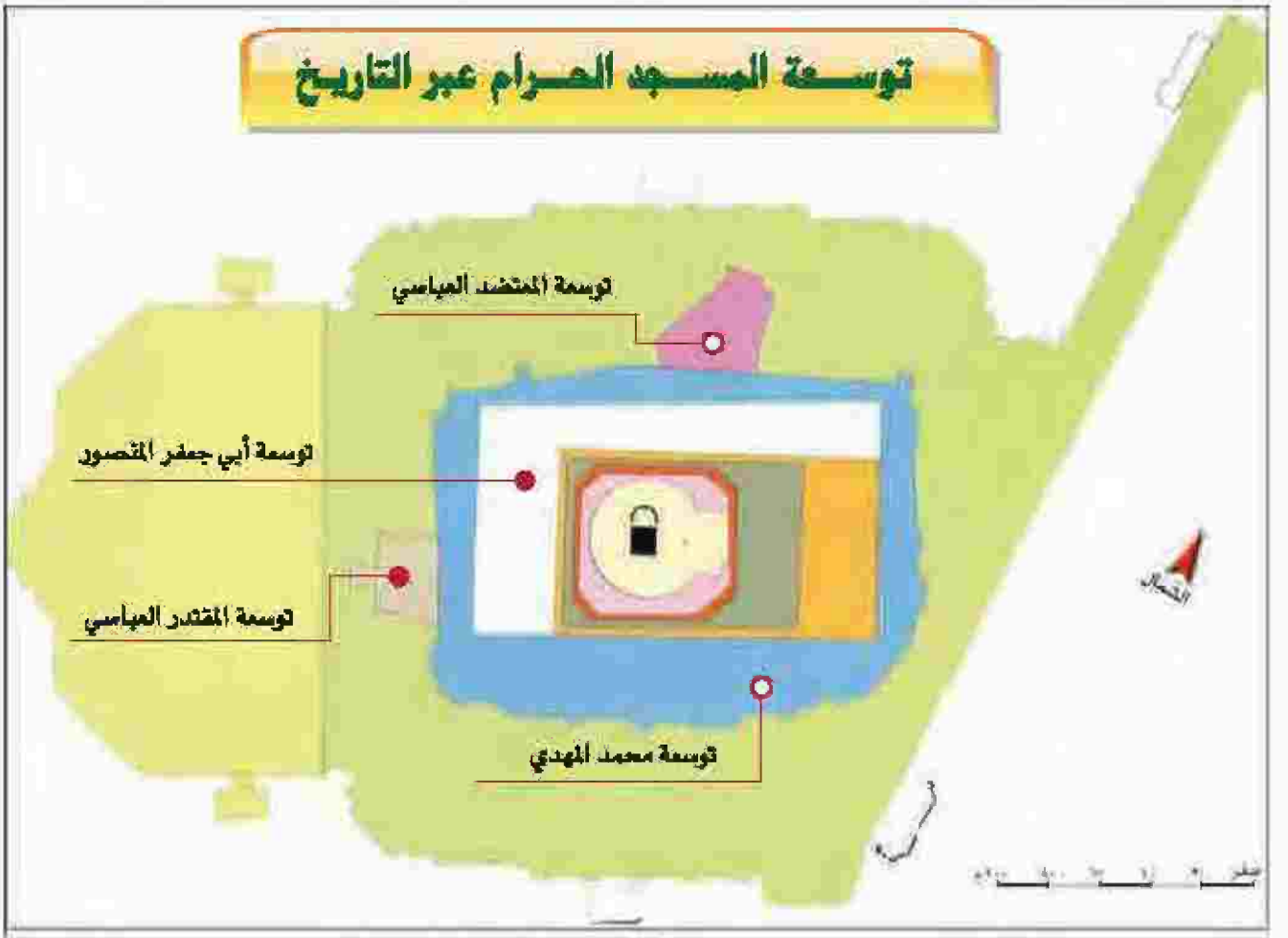

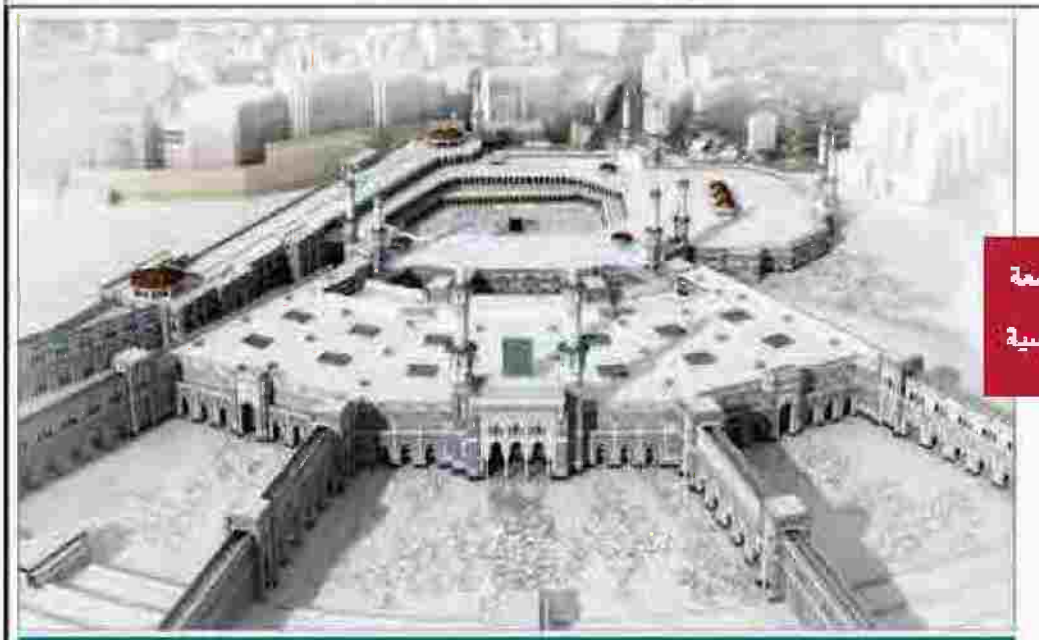

توسعة المسجد النبوي عبر التاريخ
توسعة الخليفة العباسي (محمد المهدي)
الشمال
مساحة المسجد في عهد الرسول ﷺ
توسعة الرسول بعد السنة السابعة للهجرة
توسعة عمر بن الخطاب
توسعة عثمان بن عفان رضي الله عنه
توسعة الخليفة الوليد بن عبد الملك الأموي
توسعة الخليفة محمد المهدي العباسي
توسعة السلطان عبد المجيد العثماني
التوسعة السعودية الأولى عام ١٣٧٢ هـ
التوسعة السعودية الثانية في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز
المدينة النبوية من جهة باب الشامي في أوائل القرن الهجري الماضي

موسى الهادي

١٦٩-١٧٠هـ / ٧٨٥-٧٨٦م

هو **أبو محمد** موسى الهادي بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، ولد سنة ١٤٤هـ، ولاه أبوه العهد وسنه ١٦سنة، كما ولاه قيادة الجيوش في المشرق ولما توفي أبوه المهدي أخذت له البيعة وكان ذلك في ٢٢محرم ١٦٩هـ ، وأمه أم ولد تدعى **الخيزران** .

أوصى المهدي ابنه موسى الهادي قبل أن يموت بقتل **الزنادقة**، وكان الهادي قوي البأس شهماً خبيراً بالملك كريماً، فجدّ في أمرهم، وقتل منهم الكثير. على أن الأمور بينه وبين **العلويين** لم تكن على ما يرام كما كانت في عهد أبيه، فقد عادت إلى التوتر بعد مدة السلام التي امتدت طوال حقبة خلافة المهدي. ويرجع السبب في ذلك إلى عامل المهدي على المدينة، فقد ظلم بعض آل علي -رضي الله عنه- مما جعل الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب يثور ويجتمع حوله كثيرون ويقصدون دار الإمارة، ويخرجون من في السجون، ثم يخرج الحسين إلى مكة فيرسل له الهادي: "محمد بن سليمان" وتتلاقى جموعهم في **موقعة (فخ)** سنة ١٦٩ هـ حاسمة قتل فيها "الحسين" وحمل رأسه إلى موسى الهادي.

ونجا من موقعة "فخ" اثنان من العلويين، **أحدهما، يحيي بن عبد الله بن الحسن، أما الثاني** فهو أخوه **إدريس بن عبد الله**. وقد ثار الأول: في عهد الرشيد فقتل. أما الثاني: وهو إدريس بن عبد الله بن الحسن فقد تمكن من إثارة أهل المغرب الأقصى (المملكة المغربية حالياً) على العباسيين، حيث أسس هناك دولة الأدارسة.

وعلى الرغم من أن خلافة موسى الهادي كانت قصيرة فإن الفتوحات الإسلامية لم تتوقف مسيرتها؛ فقد غزا "معيوف بن يحيى" الروم رداً على قيام الروم بغزو "الحَدَث"، ولقد دخل معيوف بلاد الروم، وأصاب سبايا وأسارى وغنائم.

توفي الهادي سنة ١٧٠ هـ، وكان رحمه الله موصوفاً بالفصاحة، محبّاً للأدب ذا هيبة ووقار، قيل عن الليلة التي مات فيها: هي ليلة مات فيها خليفة، وجلس فيها خليفة، وولد فيها خليفة. فالخليفة الذي مات فيها هو الهادي، والذي جلس فيها على سريره هو الرشيد، والذي ولد فيها هو المأمون.

تنكيل الهادي بالزنادقة

ورث موسى الهادي عن أبيه محمد المهدي كراهيته للزنادقة، واقتدى بسياسته في تتبعهم والتنكيل بهم، فقتل منهم جماعة من بينهم، يزدان بن باذان وعلي بن ياقطين الذي روي عنه في أثناء حجه أنه نظر إلى الناس وهم يهرولون في الطواف، فقال، « ما أشبههم إلا بقر تدوس البيدر » .

معركة فخ سنة ١٦٩ هـ/ ٧٨٦ م
كردستان
الجزيرة
أنطاكية
حلب
قنسرين
بحر الشام (البحر الأبيض المتوسط)
الفرات
دجلة
الرقة
حمص
طرابلس
دمشق
صور
بلاد الشام
فلسطين
يافا
القدس
عمان
الأردن
الدولة العباسية
العقبة
دومة الجندل
تبوك
تيماء
وادي القرى
المُلا
حنين
بغداد
الأنبار
واسط
كربلاء
الكوفة
العمارة
الأهواز
العراق
فارس
البصرة
١ حدث نزاع بسيط بين والي المدينة النبوية وبعض البيت العلوي، أساء الوالي التعامل معهم، وأغلظ القول لهم، فحرك ذلك مكامن الثورة في نفوسهم، وأشعل الحمية في قلوبهم، فثار العلويون في المدينة بقيادة الحسين بن علي بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى العلوي، وانتقلت الثورة إلى مكة بعد أن أعلن الحسين البيعة لنفسه، وأقبل الناس عليه يبايعونه.
٢ انتهى خبر هذه الثورة إلى الخليفة العباسي موسى الهادي، فأرسل جيشاً على وجه السرعة للقضاء على الثورة، قبل أن يمتد لهيبها إلى مناطق أخرى؛ فيعجز عن إيقافها، فتحرك الجيش العباسي إلى مكة، والتقى بالثائرين في موقعة فخ.
٣ من نتائج موقعة فخ بالقرب من مكة، مقتل الحسين ابن علي العابد المتزعم للثورة وجل من كان معه وقي صفه. ونجا من موقعة "فخ" اثنان من العلويين، أحدهما: يحيي بن عبد الله بن الحسن، أما الثاني فهو أخوه إدريس بن عبد الله.
١ المدينة
٢
٣
الحجاز
فخ
مكة المكرمة
موقعة فخ: معركة وقعت بتاريخ (٨ ذو الحجة ١٦٩ هـ = ١١ يونيو ٧٨٦م) بالقرب من مكة بمكان يسمى فخ. حدثت المعركة بين الجيش العباسي في مواجهة ثوار من العلويين بزعامة الحسين بن علي (العابد) بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب، وكان مع الحسين هذا من بني عمومته إدريس وسليمان ابنا عبد الله الكامل.
١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠ ٤٠٠كم

هارون الرشيد

١٧٠ - ١٩٣هـ / ٧٨٦ - ٨٠٩م

هو **أبو جعفر** هارون الرشيد، أمير المؤمنين، بن محمد بن المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وهو الخليفة العباسي الخامس، وهو أشهر الخلفاء العباسيين على الإطلاق.

ولد هارون بالري سنة ١٤٨ هـ ، حين كان أبوه أميراً عليها وعلى خراسان. نشأ الرشيد في بيت ملك، وأُعد ليتولى المناصب القيادية في الخلافة، وعهد به أبوه، الخليفة أبو عبد الله محمد المهدي بن جعفر المنصور، إلى من يقوم على أمره تهذيباً وتعليماً وتثقيفاً، ومنهم "الكسائي"، والمفضل الضبي، حتى إذا اشتد عوده واستقام أمره، ألقى به أبوه في ميادين الجهاد، وجعل حوله القادة الأكفاء، يتأسى بهم، ويتعلم من تجاربهم وخبراتهم، فخرج في عام (١٦٥ هـ= ٧٨١م) على رأس حملة عسكرية ضد الروم، وعاد محملاً بأكاليل النصر، فكوفئ على ذلك بأن اختاره أبوه ولياً ثانياً للعهد بعد أخيه أبو محمد موسى الهادي.

وكانت المدة التي سبقت خلافته يحوطه في أثنائها عدد من الشخصيات السياسية والعسكرية، من أمثال "يحيى بن خالد البرمكي"، و"الربيع بن يونس"، و"يزيد بن مزيد الشيباني" و"الحسن بن قحطبة الطائي"، و"يزيد بن أسيد السلمي"، وهذه الكوكبة من الأعلام كانت أركان دولته حين آلت إليه الخلافة، ونهضوا معه بدولته حتى بلغت ما بلغت من التألق والازدهار.

ولم تكن المدة التي قضاها الرشيد في خلافة الدولة العباسية هادئة ناعمة، وإنما كانت مليئة بجلائل الأعمال في داخل الدولة وخارجها، ولم يكن الرشيد بالمتصرف إلى اللهو واللعب المنشغل عن دولته العظيمة إلى المتع والملذات، وإنما كان "يحج سنة ويغزو كذلك سنة".

ظل عهده مزاوجة بين جهاد وحج، حتى إذا جاء عام ١٩٢ هـ فخرج إلى خرسان لإخماد بعض الفتن والثورات التي اشتعلت ضد الدولة، فلما بلغ مدينة **طوس** اشتدت به العلة، وتُوفي في ٣ جمادى الآخر ١٩٣هـ/ ٤ إبريل ٨٠٩م، وكان عمره خمساً وأربعين سنة بعد أن قضى في الخلافة أكثر من ثلاث وعشرين سنة، عدت العصر الذهبي للدولة العباسية.

كان **هارون الرشيد** حين تولى الخلافة يرغب في تخفيف بعض الأعباء المالية عن الرعية، وإقامة العدل، ورد المظالم، فوضع له "أبو يوسف" هذا الكتاب (الخراج) استجابة لرغبته، وكان لهذا الفائض المالي أثره في انتعاش الحياة الاقتصادية، وزيادة العمران، وازدهار العلوم، والفنون، وتمتع الناس بالرخاء والرفاهية. وأُنفقت هذه الأموال في النهوض بالدولة، وتنافس كبار رجال الدولة في إقامة المشروعات كحفر الترع و الأنهار، وبناء الحياض، وتشييد المساجد، وإقامة القصور، وتعبيد الطرق، وكان لبغداد نصيب وافر من العناية والاهتمام من قبل الخليفة الرشيد وكبار رجال دولته، حتى بلغت في عهده قمة مجدها وتألقها؛ فاتسع عمرانها، وزاد عدد سكانها حتى بلغ نحو مليون نسمة، وبُنيت فيها القصور الفخمة، والأبنية الرائعة التي امتدت على جانبي دجلة، وأسيحت بغداد من اتساعها كأنها مدن متلاصقة، وصارت أكبر مركز للتجارة في الشرق، حيث كانت تأتيها البضائع من كل مكان.

وغدت **بغداد** قبلة طلاب العلم من جميع البلاد، يرحلون إليها سعيَ كبار الفقهاء والمحدثين والقراء واللغويين، وكانت المساجد الجامعة تحتضن دروسهم وحلقاتهم العلمية التي كان كثير منها أشبه بالمدارس العليا، من حيث غزارة العلم، ودقة التخصص، وحرية الرأي والمناقشة، وثراء الجدل والحوار. كما جذبت المدينة الأطباء والمهندسين وسائر الصناع.

أهم الأحداث الداخلية والخارجية في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد رحمه الله تعالى

الأوضاع الداخلية

١. العلاقة مع الطالبيين
٢. حركة الخوارج
٣. الاضطرابات في بلاد الشام
٤. الاضطرابات في إفريقية
٥. الاضطرابات في المشرق
٦. نكبة البرامكة

الأوضاع الخارجية

٧. العلاقة مع البيزنطيين
٨. العلاقة مع الفرنجة

لم تشر المصادر الشرقية إسلامية كانت أم نصرانية إلى وجود سفارات بين هارون الرشيد وشارلمان ملك الفرنجة، والراجح وجود نوع من العلاقات التجارية والسياسية، لكنها لم تأخذ شكلاً من أشكال التحالف السياسي، وأن المسؤول عنها هم التجار اليهود الذين كانوا حلقة وصل بين الشرق والغرب في الجانب التجاري.

أولاً : العلاقة مع الطالبيين

١ إدريس بن عبد الله بن الحسن
في المغرب الأقصى

٢ يحيى بن عبد الله بن الحسن
في أرض الديلم

٣ موسى الكاظم بن جعفر الصادق
في بلاد الحجاز

١

بعد ثورة موقعة (فخ) سنة ١٦٩ هـ/ ٧٨٦، بقيادة الحسين بن علي بن الحسن المثلث في ناحية مكة التي لم يكتب لها النجاح، استطاع إدريس بن عبد الله، أن ينجو من القتل ويفر من المكان باحثاً عن ملجأ يأوي إليه.

كانت أنظار العلويين، وهم في حالة المراقبة والاضطهاد التي يعانون منها، تتجه بالخصوص إلى المغرب، ليبعده عن مركز الخلافة العباسية ولاشتهاره برفع راية العصيان والمعارضة لتلك الخلافة. وقبل العلويين اتجهت أنظار الخوارج لنفس المنطقة. وأمكنهم أن يؤسسوا بها **دولتين مشهورتين في تاهرت وسجلماسة**، مما يدل على أن البلاد كانت مرشحة لتكون مركزاً لثورة مضادة وربما لقيام خلافة منافسة للخلافة العباسية.

وصل إدريس بن عبد الله إلى المغرب صحبة مولاه راشد بعد أن حصل على مساعدة من والي مصر، وأفلت من مراقبة الشرطة العباسية، بفسره عزمه على الأخذ بثأر العلويين، من جهة، وطموحه إلى تأسيس دولة قادرة على مناوأة الخلافة العباسية والقضاء عليها إذا ما ساعدت الظروف على ذلك من جهة أخرى.

حينما وصل إدريس إلى المغرب توجه أولاً، إلى طنجة التي كانت تعد آنذاك حاضرة المغرب الكبرى. وكان لا بد له، ولا شك، من وقت للاطلاع على أحوال البلاد وسكانها وجس نبض أهلها، على المستوى السياسي. فأخذ يتصل بنفسه أو بواسطة مولاه راشد ببعض رؤساء القبائل الكبرى في المغرب لإسماع كلمته ونشر دعوته. وأدت الدعوة والاتصالات إلى نتائج إيجابية في أمد قصير، مما يدل على ذكاء، إدريس ودهاء مولاه راشد. وهكذا لبت جملة من قبائل البربر الدعوة وقبلت أن تلتف حول إدريس. ولا شك أن انتماءه للأسرة النبوية كان له أثر قوي في هذا الإقبال، ولا سيما أن العلويين يومئذ كانوا يمثلون العنصر الثائر والمعارض. فالارتباط بدعوة إدريس معناه التحرر من كل تبعية للخلافة العباسية وضمان الاستقلال السياسي للمغرب.

الدولة الإدريسية في المغرب الأقصى
أوروبا
الفرنجة
الأمويون
الأدارسة
المغرب الأقصى
المغرب الأوسط
المغرب الأدنى
الدولة العباسية
إفريقيا
ليبيا
البحر الأبيض المتوسط
البحر الأحمر
المحيط الأطلسي (بحر الظلمات)
٥ توجه إدريس بجيشه صوب الجهة الشرقية من المغرب الأقصى، فوصل إلى مدينة تلمسان وبايع قبائلها. فخرج إليه أميرها محمد بن خزر بن صولات المغراوي فطلب منه الأمان، فأمنه إدريس، فقدم له محمد بن خزر بيعته، ودخل إدريس إلى تلمسان بعد أن بايعته قبائل زناتة بتلك الجهات.
١ إدريس الأول: هو إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت الرسول محمد ابن عبد الله، ولد سنة ١٢٧ هـ أمه عاتكة بنت عبد الملك بن الحرث الشاعر بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي، فهو إذن، قرشي من الأبيين، ومنزلته وجيهة في الأسرة العلوية. كان إدريس الأول مؤسس أول دولة إسلامية بالمغرب.
٢ لجوء إدريس بن عبد الله بعد معركة فخ سنة ١٦٩ هـ إلى المغرب الأقصى بصحبة مولاه راشد بعد أن حصل على مساعدة من والي مصر وأفلت من مراقبة الشرطة العباسية.
أدت الدعوة والاتصالات إلى نتائج إيجابية في أمد قصير، مما يدل على ذكاء إدريس ودهاء مولاه راشد وهكذا لبت جملة من قبائل البربر الدعوة وقبلت أن تلتف حول إدريس. ولا شك أن انتماءه للأسرة النبوية كان له أثر قوي في هذا الإقبال.
٣ تحول إدريس إلى مدينة وليلي، حيث تمت بيعته يوم الجمعة ٤ رمضان سنة ١٧٢ هـ الموافق ٦ فبراير ٧٨٩ م. وكانت قبيلة أوربة أول من بايعه من قبائل المغرب، نظراً لمنزلتها الكبرى في المنطقة. ثم تلتها قبائل زناتة وأصناف من قبائل أخرى مثل زواغة وزواوة ولماية وسدراته وغياثة ونفزة ومكناسة وغمارة ... الخ.
٤ كون إدريس بن عبد الله بعد مبايعته جيشاً من قبائل زناتة وأوربة وصنهاجة وهوارة وقاده لفتح أقاليم مغربية أخرى وتوسيع مملكته. فاستولى على شالة، ثم على سائر بلاد تامسنا وتادلا. وعمل على نشر الإسلام بها. ثم عاد ببيعته إلى وليلي في آخر ذي الحجة من سنة ١٧٢ هـ. وتوقف مدة قصيرة بقصد إراحة الجنود ثم عاد الكرة مرة ثانية في مناطق الأطلس المتوسط.

١ بعد وصول يحيى بن عبد الله بن الحسن إلى بلاد الديلم، اشتدت شوكته فيها، وقوي أمره بما التفّ حوله من الأتباع. ثم أعلن خروجه في عام (١٧٦هـ / ٧٩٢م) فهدد سلامة الدولة، وأقلق بال الرشيد. ومما أعطى حركته قوة، بعد المنطقة التي خرج فيها عن بغداد، ومناعتها الطبيعية.

٢ استقر رأي الخليفة هارون الرشيد على القضاء على حركة يحيى، فندب الفضل بن يحيى البرمكي لهذه الغاية، ونجح في استمالته بعد أن حشره إثر انفضاض أتباعه من حوله، فمال إلى الصلح. وكتب له الرشيد أماناً، واستقبله في بغداد.

٣ لم يطمئن الخليفة إلى نوايا يحيى، وأدت الحاشية دوراً في إفساد العلاقة بينهما، فوضعه تحت رقابة الفضل بن يحيى. وقد أثّر يحيى عليه حتى أطلقه بدون علم الخليفة وذهب إلى الحجاز. ثم نمى إلى الرشيد؛ أن يحيى يدعو إلى نفسه في الحجاز، فوافق ذلك ما كان في نفسه، فقبض عليه وسجنه ثم قتله.

إقليم الديلم، هذا إقليم الفرز والصيد به صناع حذاق، وفواكه تحمل إلى الآفاق، وبزه مجلوب بمصر والعراق. كثير الأعلام، مستقيم الأنسام، معتدل الهواء، وليم عمل لطيف، وبناؤه الطوبة، ويرحمون الشديد، كبراء في الفقه وأيلة في الحديث رجال في القتال وكلّ خفيف، وسوم حسان يذبل نظيف، بحر عميق به مدن لطيف، به أنساك سرية وينابيع جلية وفواكه للذيذة وأغنياء متعادلة وأرزاق كثيرة، به لين وزوجون وأترج وخروب، كثير العناب، حسن الأعناب، رمانه رحاب، بعدن طيب، وغيض مجلب، وأسبم كبير، ومادّ غزير، ونخل كثير، وبرّ غطير، المقدسي البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، الفصلان من جبلان بأرض الديلم.

الدولة الأغلبية

١٨٤ - ٢٩٦ هـ / ٨٠٠ - ٩٠٩ م

كان مؤسس الأسرة **الأغلب بن سالم بن عقال التميمي** قائداً لجيش العباسيين، ثم أصبح ابنه إبراهيم والياً على إفريقية من طرف هارون الرشيد ابتداءً من سنة ١٧٠ هـ، غير أنه استقل بالأمر سنة ١٨٣ هـ بعد تراجع دور العباسيين. وقد عمل الرشيد على دعم إبراهيم حتى لا يستقل نهائياً كباقي الإمارات، بعد القضاء على عدة ثورات كانت أغلبها من طرف دعاة الأمازيغ، وكان من أهمها ثورة حمديس الكندي في المغرب الأدنى، وثورة أهل طرابلس سنة ١٨٩ هـ، ثمّ استقر الأمر في عهد عبد الله بن إبراهيم (٨١٢-٨١٧).

ومات إبراهيم بن الأغلب سنة ١٩٦هـ بعد أن ترك إمارة قوية خلفه، في حكمها ابنه عبد الله أبو العباس، وكان سيء السيرة فقد اشتد مع الناس وزاد في الضرائب. وفي عام ٢٠١ مات عبد الله أبو العباس واستراح الناس من حكمه. ثم زيادة الله بن إبراهيم (٢٠١-٢٢٣) وقد شهدت دولة الأغالبة في عهده أزهى أيامها، برغم أنه ظل لفترة منشغلاً بإخماد ثورة منصور الطنبذي الذي حاصر القيروان وهدد وجود الدولة، إلا أن زيادة الله تمكن من الانتصار عليه. وبعد سنة ٢١١ هـ تم غزو **صقلية** من طرف الأغالبة، ثم الإستيلاء على مدينة باري -في إيطالية- عام ٢٢٦ هـ، ثم اجتياح رومية - روما- عام ٢٣١ هـ -إلا أنهم انسحبوا بعد ذلك- ثم سجلت الدولة حضوراً قوياً في العهود اللاحقة، كما سيتضح ذلك في صفحات الأطلس القادمة.

تعد فسقية « بركة الأغالبة » من أشهر المؤسسات المائية في الحضارة الإسلامية ومن تراث القيروان المسجل في قائمة التراث العالمي، وقد أقامها الأمير أبو إبراهيم أحمد بن الأغلب سنة ٢٤٨ هـ/٨٦٢م بعد عامين من العمل المتواصل، وتأنق في مظهرها وإبراز تفاصيلها الهندسية بما يتناسب مع مظهر عاصمته القيروان.

٢ دولة الأغالبة (١٨٤-٢٩٦هـ/ ٨٠٠-٩٠٩م)

أسرة عربية تنتسب إلى قبيلة تميم، حكمت إفريقية (تونس والقسم الأكبر من المغرب العربي) من نهاية القرن الثاني الهجري حتى نهاية القرن الثالث/ القرن التاسع الميلادي. وكانت حدود دولة الأغالبة تتسع وتتقلص بحسب قوة أمرائها وضعفهم.

١ إبراهيم بن الأغلب بن سالم بن عقال ابن خفاجة بن سوادة التميمي (١٨٤ هـ-٨٠٠م): هو مؤسس الدولة، شخصية مرموقة، فقيه عالم أديب شاعر خطيب، ذو رأي وبأس، وحزم ومعرفة بالحرب ومكائدها، لم يل إفريقية أحد قبله من الأمراء أعدل في سيرة، ولا أحسن في سياسة، ولا أرفق برعية، ولا أضبط بأمر منه.

٣ أسس الدولة "**إبراهيم بن الأغلب**" وكان والده الأغلب، الذي سميت الدولة باسمه، أول من دخل إفريقية من هذه الأسرة، التي كانت قد استقرت في مَرْو الرُّوذ في خراسان، منذ الفتح الإسلامي. وكان قيام هذه الدولة في عهد الخليفة هارون الرشيد. وقد لقب حكام هذه الدولة بالأمراء، وظلوا خاضعين لسلطة الخلفاء العباسيين اسمياً، فسكوا النقود باسمهم، وخطبوا لهم على المنابر، من دون أن يسمحوا لهم بالتدخل في شؤونهم الداخلية.

٤ تمثل دولة الأغالبة ذات العلاقة الاسمية بالدولة العباسية تمثيلاً إيجابياً، بخلاف دولة الأدارسة التي كانت معادية للخلافة العباسية. حيث استطاع "**إبراهيم بن الأغلب**" أن يوقف الأدارسة. وبعد مناوشات بين الطرفين اقترحوا عليه ألا يعتدي أحد الطرفين على الآخر، وأن يبقى كل في إقليمه، فقيل "ابن الأغلب" ذلك.

٥ يذكر د. حسين مؤنس: بأن سياسة الرشيد كانت تهدف إلى تأمين ولاية إفريقية، لأنها كانت كل ما بقي لدولة بني العباس في الجناح الغربي لدولة الإسلام، وهكذا أصبحت إفريقية في بيت إبراهيم بن الأغلب. فأنشأ هذا الأخير مدينة العباسية على بعد ٣ أميال من القيروان، وعظم شأنه حتى أصبح يفد عليه سفراء شارلمان ملك الفرنجة بفرنسا ساعياً وراء عقد علاقات دبلوماسية مع المسلمين.

الاضطرابات في المشرق

كان هرثمة بن أعين، أميراً من قادة الدولة العباسية الشجعان والبناة، ولاه الرشيد مصر سنة ١٧٨هـ، ثم وجهه إلى إفريقيا (القيروان وما بعدها) لإخضاع عصيان اندلع فيها، فسار هرثمة إلى القيروان سنة ١٧٩ هـ، فأمن الناس وسكنهم، ولقي من أهلها ما يحب فأحسن معاملتهم، وكان إبراهيم بن الأغلب بولاية الزاب فلاطف هرثمة وتقرّب منه، فولاه ناحية هناك فحسن أمره فيها، ولكن الهدوء لم يطل، إذ جمع بعض الزعماء جموعهم وساروا لقتال هرثمة، فتقدم إليهم في جيش كثيف، ففرق جموعهم بعد أن قتل منهم خلقاً كثيراً، ودخل تاهرت ظافراً فأطاعته القبائل، وعاد إلى القيروان وبنى فيها قصر «المنستير» على يد زكريا بن قادم، كما بنى سور مدينة طرابلس الغرب، وظل والياً على إفريقيا سنتين ونصف السنة، ولكنه حين رأى كثرة ما بها من الخلافات والمنازعات كتب إلى الرشيد طالباً إعفاءه، فأمره بالقدوم عليه إلى العراق، ثم عقد له على خراسان، بعد أن اهتم ولاة هذا الإقليم بمصالحهم الشخصية، وتطلعوا إلى الإثراء وأهملوا شؤون الرعية، حتى إن بعضهم زاد الضرائب تعسفاً؛ لذلك رأى الخليفة هارون الرشيد أن يرسل هرثمة إلى خراسان؛ فذهب إليها وأقام فيها[١].

وحينما خرج رافع بن نصر بن سيار على طاعة الدولة العباسية في خراسان، حيث كان سبب خروجه سوء سيرة علي بن عيسى بن ماهان عامل الرشيد هناك، وجرت بينه وبين علي بن عيسى وقعات، فبلغ ذلك الرشيد فعزل علي بن عيسى واستعمل هرثمة على ما كان عليه، وقيل كانت ولايته سرّاً لم يطلع عليها الرشيد أحداً، وقيل: إنه لما أراد عزل علي بن عيسى استدعى هرثمة إليه، وأسرّ إليه ذلك، وقال له: إن علي بن عيسى قد كتب إليّ يستمدني بالعساكر والأموال، فأظهر للناس أنك تسير نجدة إليه. وكتب له الرشيد ولاية بخط يده، وأمر كتابه أن يكتبوا إلى علي بن عيسى بأنه قد سيّر هرثمة نجدة له، فسار هرثمة ولا يعلم بأمره أحد، حتى أتى «مرو» فقبض على علي بن عيسى، وعلى أهله وأصحابه وأتباعه، وأخذ أمواله فبلغت ثمانين ألف ألف، وجمعت خزائنه وأمواله فبلغت حمل ألف وخمس مئة بعير، فأخذ الرشيد ذلك كله، وكان وصول هرثمة إلى مرو عاصمة خراسان سنة ١٩٢هـ[٢].

١ - ٢ ، عبدو محمد ، الموسوعة العربية، دار الفكر، مج ٢١ ، ص ٤٢٦ .

نكبة البرامكة سنة ١٨٧ هـ

البرامكة أو كما يسمون بالفارسية (برمكيان): أسرة من أشراف الفرس، ينتسبون إلى جدّهم بَرْمَك أو برموك، وهو لقب السادن الأكبر لمعبد النَّوْبهار ببلْخ. والنوبهار معبد كان ملوك الهند والصين وكابُل يقصدونه ويحجّون إليه. وكانت الفرس تعظمه وتحج وتهدي إليه، وقد اختلف في كونه معبداً بوذياً أو معبداً للنار.

أول من وصلت أخباره من البرامكة أبو خالد بَرْمك، الذي قدم على هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ) فأسلم، وكان قد نشأ في الهند وتعلّم علم الطبّ والنجوم، وقد استخدم معرفته الطبية في معالجة مَسْلَمة ابن عبد الملك من مرض ألمّ به. كما كان كاتباً أديباً عنده علم بأخبار ملوك الفرس.

وقد كان للبرامكة منزلة عالية، واستحوذوا على الكثير من المناصب في الدولة العباسية، وكان لهم حضور كبير في بلاط الخليفة العباسي هارون الرشيد، الذي أرضعته زوجة يحيى بن خالد البرمكي، الذي حفظ لهارون الرشيد ولاية العهد بعد أن أراد الخليفة الهادي خلع هارون الرشيد.

نهاية البرامكة: تعاظم نفوذ البرامكة في عهد هارون الرشيد، فقد بلغ وارِدهم السنوي عشرين ألف ألف درهم، وكان ما يقع تحت أيديهم من المال أكثر مما يقع تحت يد الخليفة نفسه. وكانوا يكثرون من العطايا ويبالغون فيها، وقد ضرب جعفر البرمكي دنانير خاصة للصلات قيمة كل منها ثلاثمائة دينار. وشعر الرشيد بتسلطهم المالي وغناهم حتى إنه كان يقول: «أغنيناهم وأفقروا أولادنا» ذلك أنهم ملكوا أحسن الضياع وعمروا أجمل البناء، فقد بنى جعفر البرمكي قصراً في بغداد، أنفق عليه أموالاً لا تعد ولا تحصى، لدرجة أن بعض حاشية الخليفة بدأت تضمر لهم شراً، واحتدم الصراع بين البرمكيين وخصومهم. إلى أن تمكن خصوم البرامكة بعد حشد كل طاقاتهم من اقناع الخليفة بالتخلص منهم. **ولقد سمم البرامكة الإمام موسى بن جعفر الكاظم بعد رحلة لهارون الرشيد** الذين قد وشوا وفتنوا على موسى بأنه يريد الانقلاب عليه، **بكى هارون على ابن عمه** وعرف هارون مخطط البرامكة. فقد كان هارون الرشيد ذكياً يعرف نفوذ البرامكة في الدولة، وأدرك أن التخلص منهم ليس بالأمر السهل. لذا لجأ للمكر، وقرر فجأة في سنة ١٨٧هـ القبض على جميع أفراد العائلة البرمكية، ومصادرة أموالهم وممتلكاتهم، وشرد بعضهم، وقتل الغادرين منهم، بينما أدخَل المشاغبين منهم السجون. وهكذا في غضون مدة وجيزة انتهت أسطورة البرامكة وانتهت سلطتهم داخل الدولة العباسية. وسميت معركة الرشيد ضدهم بـ" نكبة البرامكة".

---

١ - موسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية.

طبيعة العلاقات بين المسلمين والبيزنطيين في خلافة هارون الرشيد ١٧٠ - ١٩٣هـ/ ٧٨٦ - ٨٠٨م

كان للحقبة التي عاشها الرشيد مع أبيه المهدي ١٥٨ - ١٦٩هـ / ٧٧٤ - ٧٨٥م أثرها الواضح في علاقته مع الروم بعد توليه الخلافة سنة ١٧٠هـ / ٧٨٦م ، فقد اطلع بنفسه على خطر البيزنطيين على المسلمين ، ورأى أن خطرهم سيبقى قائماً طالما بقيت الحدود مفتوحة بين الجانبين، لذا عوّل على إتمام ما بدأه أسلافه، فأنشأ التحصينات على المناطق المخوّفة لتكون جميعاً بمثابة الحصن الحصين الذي يحمي دار الإسلام من ناحية، وليتخذوها قواعد لهم يشنون منها حملاتهم على أراضي الدولة البيزنطية من جهة أخرى.

كما أقام منطقة جديدة قريبة من أنطاكية أطلق عليها العواصم، لأن المسلمين كانوا يعتصمون بها، فتعصمهم وتمنعهم من العدو البيزنطي – بإذن الله – إذا انصرفوا من غزوهم وخرجوا من الثغر الشامي، وأسكنها جنداً عرفوا بجند العواصم، واختار الرشيد هذه الجهة دون غيرها؛ لأن الروم اعتادوا مهاجمة المسلمين منها، فأخذوا يغيرون عليهم بين مدة وأخرى.

واهتم بطرسوس – وكانت على حدود بلاد الروم – ؛ للأخبار التي وصلت إليه من عزم الروم على الاتجاه إليها وتحصينها، لتكون مركزاً إستراتيجياً يغزون المسلمين منه، ولهذا أرسل الرشيد سنة ١٧١ هـ / ٧٨٧م جيشاً بقيادة هرثمة بن أعين، وأمره – بعد أن ينتهي من غزو الروم – أن يهتم بأمر طرسوس، وينقل البنائين المهرة ليبنوا المساكن والحصون فيها، وينقل إليها الناس ليسكنوها، وتمصّر كبقية الأمصار الإسلامية الأخرى.

ولما أحرز هرثمة بن أعين النصر على الروم بادر في تنفيذ ما أوصاه به الرشيد، ببناء المساكن والحصون وتخطيط المدن، وطلب من الجميع أن يعسكروا في المدائن، ريثما يستكمل بناء مساكن طرسوس وحصونها ومساجدها، وحين انتهى البناء منها سنة ١٧٢هـ / ٧٨٨م نقل إليها الجميع ومصّرها، وأقطع أهل طرسوس الخطط، وزاد كل رجل عشرة دنانير في أصل عطائه.

والحقيقة أنه ترتب على سياسة الرشيد على الحدود مع الروم أنهم لم يستطيعوا اختراق منطقة الثغور؛ لقوة تحصيناتها ومرابطة الجيوش الإسلامية الدائمة فيها، والذي مكّنهم من تسيير جيوشهم مرتين أو أكثر في السنة من غير تعب أو ملل [1].

١ – د . محمد بن ناصر الملحم، العلاقات بين البيزنطيين والمسلمين ، نسخة رقمية .

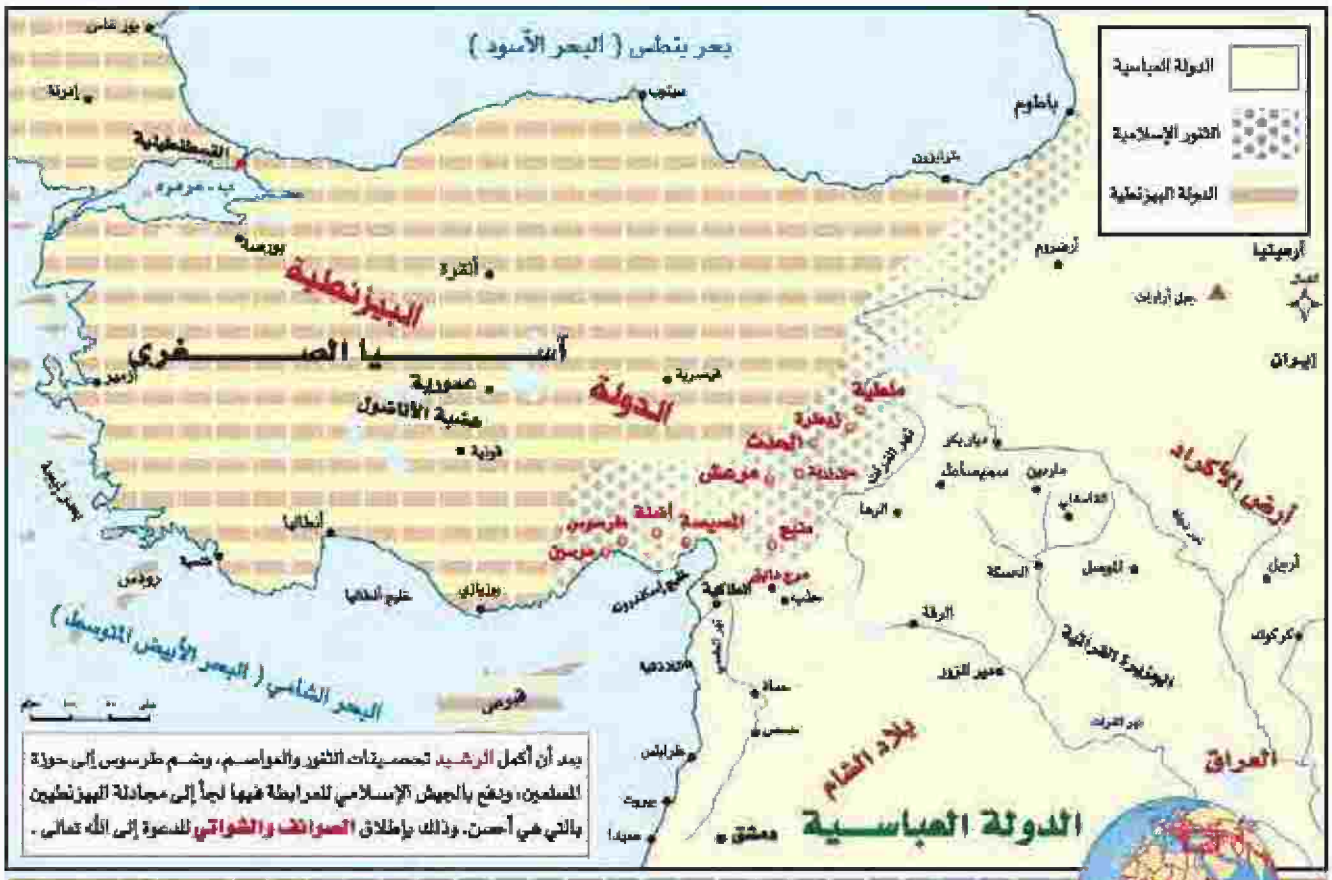

الجبهة البيزنطية في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد

اختصت طبيعة العلاقات بين المسلمين والبيزنطيين في خلافة هارون الرشيد ١٧٠ - ١٩٣هـ/ ٧٨٦ – ٨٠٨ م على أمرين.

أ - العلاقة العدائية :

- تأمين الثغور الإسلامية .
- سياسة الصوائف والشواتي سنة١٧٠– ١٨٢هـ / ٧٨٦ - ٧٩٨م.
- بين الرشيد ونقفور في المدة ١٨٧ - ١٩٣هـ / ٨٠٢ – ٨٠٨م.

ب - العلاقة السلمية :

- بين الرشيد وإيريني في المدة ١٨٣ - ١٨٦هـ / ٧٩٩ – ٨٠٢م.
- بين الرشيد ونقفور سنة ١٨٧هـ / ٨٠٢م .
- بين الرشيد و نقفور سنة ١٩٠هـ / ٨٠٥م .

بين الرشيد ونقفور في المدة ١٨٧ – ١٩٣هـ / ٨٠٢ - ٨٠٨م

تولى نقفور حكم الإمبراطورية البيزنطية بعد أن كان مسؤولاً عن الخزانة المالية فيها، فاهتم بتدعيم اقتصاد البلاد وإنقاذ الخزانة من الإفلاس، الذي نشأ عن إهمال حكومة إيريني، فألغى الأوامر التي أصدرتها إيريني، وامتنع عن دفع الجزية للمسلمين والبلغار، وأعاد الضرائب على سكان بيزنطة، فبذلك نقض إمبراطور الروم، نقفور، العهد بين المسلمين والبيزنطيين وكتب إلى هارون:

"من نقفور ملك الروم إلى ملك العرب. أما بعد فإن الملكة إيريني التي كانت قبلي أقامتك مقام الأخ، فحملت إليك من أموالها. لكن ذلك لضعف النساء وحمقهن، فإذا قرأت كتابي فاردد ما حصل قبلك من أموالها، وافتد نفسك، وإلا فالحرب بيننا وبينك".

فلما قرأ هارون هذه الرسالة ثارت ثائرته، وغضب غضباً شديداً، وكتب على ظهر رسالة الإمبراطور:

"بسم الله الرحمن الرحيم من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم. قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة، والجواب ما تراه دون أن تسمعه. والسلام".

وخرج هارون بنفسه في (١٨٧ هـ= ٨٠٣م)، حتى وصل "هرقلة" وهي مدينة بالقرب من القسطنطينية، واضطر نقفور إلى الصلح والموادعة، وحمل مال الجزية إلى الخليفة كما كانت تفعل "إيريني" من قبل، ولكنه نقض المعاهدة بعد عودة الرشيد، فعاد الرشيد إلى قتاله في عام (١٨٨هـ= ٨٠٤ م) وهزمه هزيمة منكرة، وقتل من جيشه أربعين ألفا، وجُرح نقفور نفسه، وقبل الموادعة، وفي العام اللاحق (١٨٩هـ=٨٠٥م) حدث الفداء بين المسلمين والروم، ولم يبق مسلم في الأسر، فابتهج الناس لذلك.

غير أن أهم غزوات الرشيد ضد الروم كانت في سنة (١٩٠ هـ= ٨٠٦م)، حين قاد جيشاً ضخماً عدته ١٣٥ ألف جندي ضد نقفور الذي هاجم حدود الدولة العباسية، فاستولى المسلمون على حصون كثيرة، كانت قد فقدت من أيام الدولة الأموية، مثل "طوانة" بثغر "المصيصة"، وحاصر "هرقلة" وضربها بالمنجنيق، حتى استسلمت، وعاد نقفور إلى طلب الهدنة، وخاطبه بأمير المؤمنين، ودفع الجزية عن نفسه وقادته وسائر أهل بلده، واتفق على ألا يعمر هرقلة مرة أخرى.

مما قاله شاعر الزهد والحكمة (أبو العتاهية) في نصر هارون على نقفور:

فأوسعت شرقياً وأوسعت غربياً ... بسطت لنا شرقاً وغرباً يَدَ العلا

فأصبح وجه الأرض بالجود موشياً ... ووشيت وجه الأرض بالجود والندى

نشرت من الإحسان ما كان مطوياً ... وأنت أمير المؤمنين فتى التقى

فأصبح نقفور لهارون ذمياً ... تجليّت للدنيا وللدين بالرضا

حكم عبدالرحمن الداخل الأندلس ١٣٨– ١٧٢هـ أي أنه عاصر الخليفة العباسي هارون الرشيد مدة عامين، وعندما توفي تولى بعده ابنه **هشام الرضا**. وقد حكم الأندلس مدة ثمانية أعوام ١٧٢ – ١٨٠هـ، ووقع خلاف بينه وبين أخيه سليمان الذي هو أكبر منه، وقد أخذ سليمان البيعة لنفسه في **طليطلة**، ولكنه هزم أمام هشام سنة ١٧٤هـ، ونفي إلى المغرب. وبعد أن وطد هشام حكمه اتجه إلى قتال النصارى في الشمال فأرسل إليهم حملات، كما أرسل جيوشاً إلى **سبيتمانيا** في جنوبي فرنسا.

وخلفه ابنه **الحكم الربضي**، واستمر حكمه حتى عام ٢٠٦هـ، ونازعه على الحكم عماه عبدالله وسليمان فقد كان في طنجة وعبر إلى الأندلس بقوة من المرتزقة ولكنه هزم وقتل عام ١٨٤هـ، وأما عمه الآخر عبدالله فقد كان عند **الإباضيين في تاهرت** بالمغرب الأوسط فانتقل إلى الأندلس غير أنه هزم، وعفا عنه ابن أخيه الحكم، وأجبره على الإقامة في الأندلس في بلنسية، ويدفع له مرتباً سنوياً ضخماً. كما قامت ضده عدة حركات منها ما حدث في طليطلة قضى عليها بالحيلة إذ ولى عليها عمروس بن يوسف الذي تظاهر بكره الأمير (الحكم) ودعا كبار أهل البلدة إلى وليمة بالقلعة وتخلص منهم عام ١٨١هـ.

(درب زبيدة التاريخي) من أبرز المنجزات الحضارية في عهد الخليفة هارون الرشيد

شهدت الجزيرة العربية في العصر الإسلامي ظهور وتطور لسبعة طرق رئيسة للحج والتجارة، هي: طريق الحج الكوفي (درب زبيدة)، وطريق الحج البصري، وطريق الحج الشامي، وطريق الحج المصري، وطريق الحج اليمني الساحلي، وطريق الحج اليمني الداخلي، وطريق الحج العُماني.

وتتصل هذه الطرق بعضها مع بعض في نقاط رئيسة، أو بواسطة طرق فرعية، ولقيت طرق الحج عناية فائقة من قبل الخلفاء المسلمين، والأمراء، والوزراء، والأعيان، ومن محبي الخير من التجار والوجهاء على مر العصور، وبعض الطرق استمر استخدامه حتى عهد قريب، والبعض الآخر اندثر بسبب الظروف المناخية، والاقتصادية، والهجرات السكانية.

وأقيمت على طرق الحج منشآت عديدة، مثل: المحطات والمنازل والمرافق الأساسية من برك، وآبار، وعيون، وسدود، وخانات، ومساجد، وأسواق، كما أقيمت على هذه الطرق الأعلام، والمنارات، والأميال، التي توضح مسار تلك الطرق وتفرعاتها.

ويعد طريق الحج من الكوفة، إلى مكة المكرمة من أهم طرق التجارة والحج في العصر الإسلامي، وقد عرف هذا الطريق فيما بعد باسم **(درب زبيدة)**؛ نسبة إلى السيدة زبيدة بنت جعفر، زوجة الخليفة هارون الرشيد، والسيدة زبيدة كان لها أعمال كثيرة في إقامة بعض المنشآت على هذا الطريق، وفي مكة المكرمة، ومن أهم أعمالها: حفرها **عين زبيدة** التي لا تزال آثارها باقية حتى اليوم. وطريق (الكوفة – مكة) لا يستبعد أن يكون ممروفاً قبل العصر الإسلامي؛ حيث كانت الحيرة عاصمة المناذرة بالقرب من الموقع الذي قامت فيه الكوفة فيما بعد سنة ١٤هـ، وربما كانت القوافل التجارية من مكة، والمدينة تتجه إلى الحيرة عبر هذا الطريق، وكانت توجد على الطريق مناهل للمياه قبل الإسلام توقف في بعضها الجيش الإسلامي بقيادة سعد بن أبي وقاص قبل دخوله العراق، ومن هذه المناهل: زرود، والثعلبية، وشرف، والعذيب، والقادسية.

غير أن الطريق انتظم استخدامه بعد فتح العراق، وانتشار الإسلام في المشرق الإسلامي، فتحولت مناهل المياه، وأماكن الرعي، والتعدين على الطريق إلى محطات رئيسة، وبدأ الطريق يزدهر بالتدريج منذ عصر الخلافة الراشدة، وحتى العصر الأموي؛ وبانتقال مركز الخلافة من الشام إلى العراق، في العصر العباسي، أصبح الطريق حلقة اتصال مهمة بين عاصمة الخلافة في بغداد والحرمين الشريفين، وبقية أنحاء الجزيرة العربية وحتى اليمن، وأعطى خلفاء بني العباس جل اهتمامهم بتأمين طرق المواصلات، وبالأخص طريق الكوفة من مكة، كما كان للأمراء، والوزراء، والقادة، والوجهاء، إصلاحات أخرى كثيرة على الطريق . بتصرف من أ. د. سعد بن عبد العزيز الراشد، طرق الحج الرئيسة، القسطة الرقمية.

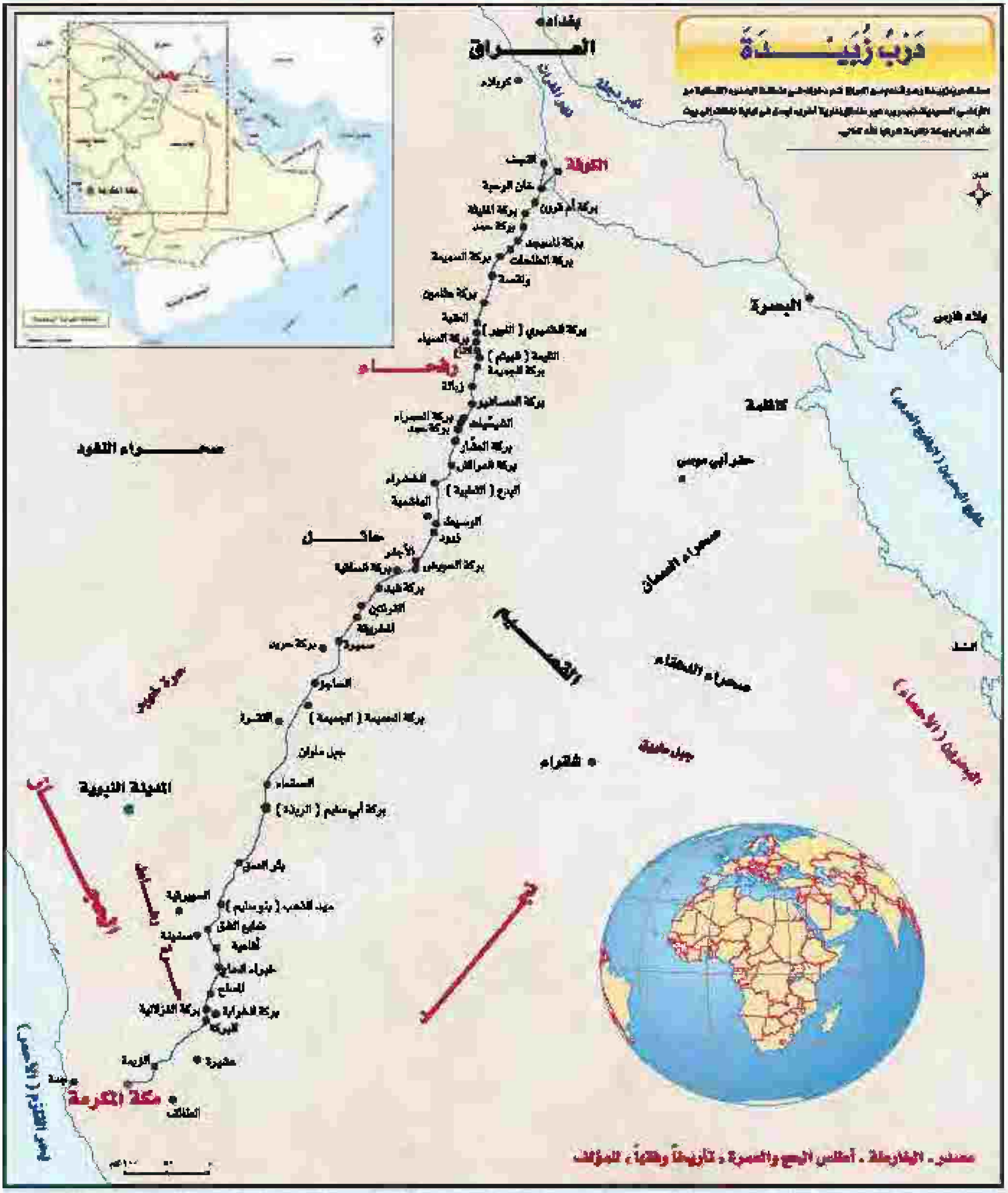

مصدر : الخارطة : أطلس الحج والعمرة ، تاريخاً وفقهاً ، المؤلف

درب زبيدة : ينتسب إلى زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور ، إحدى زوجات الخليفة العباسي هارون الرشيد - رضي الله عنه - قامت زبيدة بالإشراف على إنشاء طريق الحج، ويمثل هذا الدرب طريقاً لحجاج بيت الله الحرام من بغداد (عاصمة الخلافة العباسية) مروراً بالكوفة إلى مكة المكرمة، حيث تم وضع علامات على الطريق لإرشاد الحجاج، وتم وضع برك لجمع الماء بطريقة ذكية، حيث تم وضع كل بركة أسفل وادٍ صغير تجمع ماء المطر ويستفيد منها الحجاج للتزود بالماء، وتم مرور القوافل استفاد حجاج بيت الله الحرام من هذا الطريق، ويبلغ طول هذا الدرب ١٤٠٠كم تقريباً، ويدخل هذا الدرب في حدود ... ثم يمر في مرتفعات ... ثم الصحراء إلى مكة المكرمة، وكانت مصممة بطريقة هندسية متطورة .

آثار بركة الظفيري « الغوير »

بركة المعياء وتقع على بعد ١٢,٥ كم شمالي محطة القاع وهي محطة من الحجم المتوسط

بركة الظفيري « الغوير » : قال الناظم:

غزال نعا شيخ الغوير وشاده فدىً لغزال بالغوير شـــرود

هي أول البرك على درب زبيدة داخل الحدود السعودية، حيث تعرف باسم بركة (الظفيري)، وتقع على بعد ١٢ كم شمالي محطة المعياء، ثم يستمر الطريق بعدها حتى يصل إلى الكوفة التي ينشأ منها بداية الطريق، وهذه البركة لها درج ومدخلان للماء، يتم توجيه الماء إليهما بجدران صممت لهذا الغرض، والبركة محصنة موصولة مع البركة بقناة.

بركة القاع وهي من المحطات الكبيرة على درب زبيدة

بركة الثليمة في شمالي رفحاء

بركة الجبيهة لتصلك مقاومة

بركة زبالة بالقرب من رهماء

بركة الشرهيات جنوب غربي أم العصافير

بركة العشار

لقطات لبركة المرائش

أرض زرود بموضع « شامة زرود » غربي شامة مغيليث بمنطقة حائل اليوم

أحد الآبار بأرض زرود والتي يتزود منها الحجاج والتجار والمسافرون على درب زبيدة

زرود: يجوز أن يكون من قولهم: جمل زرود أي بلوح، والزَّرد: البلح، ولعلها سميت بذلك لابتلاعها المياه التي تمطرها السحائب لأنها رمال بين الثعلبية والخُزَيمية بطريق الحاج من الكوفة، وقال ابن الكلبي عن الشرقي: زرود والشُّقْرَة والرَّيْدَة بتلك بترب بن قانية بن مهليل بن رخام بن عبيل أخي عوض بن إرم بن سام بن نوح، عليه السلام وتسمى زرود العتيقة، وهي دون الخزيمية بميل، وفي زرود بركة وقصر وحوض، قالوا أول الرمال الشيحة ثم رمل الشقيق، وهي خمسة أجبل: جبلا زرود وجبل الغَرّ ومُرَبِّغ، وهو أشدّها، وجبل الطريدة، وهو أهونها، حتى تبلغ جبال الحجاز، ويوم زرود: من أيام العرب مشهور بين بني تغلب وبني يربوع؛ **وقد روي أن الرشيد حجّ في بعض الأعوام فلمّا أشرف على الحجاز تمثل بقول الشاعر:**

أقول وقد جزنا **زرود** عشية

وراحت مطايانا نؤمّ بنا نَجْدَا

على أهل بغداد السلام، فإنّني

أزيد بسيري عن بلادهمُ بُعْدَا

وقال مهيار:

ولقد أحنّ إلى زرود وطيبتي

من غير ما جُبلتْ عليه **زرودُ**

ويشوقُني عجفُ الحجاز وقد طفا

ريفُ العراق وطلّه المدودُ

ويُفرّدُ الشادي فلا يهتزّ بي،

ويُنالُ مني السابق الفَرِدُ

ما ذاك إلاّ أن أهمار الحمى

أفلاكهنّ، إذا طلَعْنَ، البيدُ

قصر كيير وبجانبه بركة « مطمورتان » تحت الرمال بالقرب من مدينة الأجفر

قال أبو العلاء المعري:

لا تَحْسَبي إبلي سُهَيْلاً طالعاً ... بالشأم فالمَرْئيُّ شُعْلَةُ قابِسِ

هذي العواسِمُ فاسألينا ما بها ... وذري مَآرِبَ من **زَرُودَ** وراكِسِ

ولقد أظلُّ تُظِلُّني وصَحابَتي ... والشمسُ مثلُ الأخْزَرِ المُتَشاوِسِ

فيد: مدينة صغيرة ذات حصنين وبها حمام وبركة بأبواب حديد وآثارات، لعضد الدولة يوجد بها كل خير وبها يودع الحاج أزوادهم وثم نقات وبها عيون وآبار وبرك عذبية، وبالبعد عناء حلق .. المقدسي البشاري: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. وهذه الصورة لبركة زبيدة بمدينة (فيد) بمنطقة حائل

مؤلف ومصمم الأطلس وسط بركة فيد

ومسف ابن بطوطة في رحلته **حصن فيد** قائلاً : وهو حصن كبير في بسيط من الأرض يدور به سور وعليه ربض، وساكنوه عرب يتعيشون مع الحاج في البيع والتجارة. وهنالك يترك الحجاج بعض أزوادهم حين وصولهم من العراق إلى مكة شرفها الله تعالى، فإذا عادوا وجدوه وهو نصف الطريق من مكة إلى بغداد، ومنه إلى الكوفة مسيرة اثني عشر يوماً في طريق **سهل به المياه** في المصانع، ومن عادة الركب أن يدخلوا هذا الموضع على تعبئته وأهبة للحرب، إرهاباً للعرب المجتمعين هنالك، وقطعاً لأطماعهم عن الركب وهنالك لقيتا أميري العرب، وهما فياض وحيار واسمه " بكسر الحاء وإهماله وياء آخر الحروف " ، وهما ابنا الأمير مهنا بن عيسى، ومعهما من خيل العرب ورجالهم من لا يحصون كثرة **فظهر منهما المحافظة على الحاج والرحال والحمولة لهم**، وأتى العرب بالجمال والغنم واشترى منهم الناس ما قدروا عليه، ثم رحلنا ونزلنا الموضع الأجفر، ويشتهر باسم العاشقين: جميل وبثينة ثم رحلنا ونزلنا البيداء، ثم نزلنا زرود، ... رحلة ابن بطوطة.

تبين هذه الصورة كيفية عمل الجسور التي تحمل الماء من عين زبيدة في مكة المكرمة :

قيل: إنه بلغ مجموع ما أنفقته السيدة "زبيدة" على هذا المشروع مليوناً وسبعمائة ألف مثقال من الذهب، أي ما يساوي خمسة آلاف وتسعمائة وخمسين كيلو غراماً. ولما تم عملها ، اجتمع العمال لديها وأخرجوا دفاترهم ليؤدوا حساب ما صرفوه، وليبرئوا ذممهم من عمدة ما تسلموه من خزائن الأموال. وكانت السيدة "زبيدة" في قصر مطل على نهر دجلة، فأخذت الدفاتر ورمتها في النهر، قائلة: "تركنا الحساب ليوم الحساب، فمن بقي عنده شيء من المال فهو له، ومن بقي له شيء عندنا أعطيناه". وألبستهم الخلع والتشاريف.

تصل هذه العين زبيدة إلى مكة من مسافة بعيدة، وتمر بين زبيدة ومجاور للمشعر الحرام، لتصب العين في برك وأحواض مُحصنة، بعضها أعلى المسجد، وبعضها الآخر للوضوء. ثم تتجه إلى مظلة العزيزية ثالثة إلى، فتصب في "بئر زبيدة" نهاية امتداد عمل هذه العين زبيدة.

يُعد مشروع «عين زبيدة الأثري» وهو مكمل لمشروعها السابق «درب زبيدة» حيث إن هذه العين تمتد من أعالي جبال الكر بوادي نعمان بالقرب من الطائف حتى مكة في سقيا أعالي مكة المكرمة وحجاج بيت الله الحرام بالمياه العذبة وقد أمرت بتنفيذ هذا المشروع الخالي العملاق السيدة أمة العزيز زبيدة « بنت جعفر بن المنصور زوجة الخليفة هارون الرشيد لما عظمت حاجة مكة المكرمة وضيوف الرحمن إلى المياه بعد أن عانت هذه المدينة المقدسة من شح المياه ما عانت نتيجة جفاف مياه الآبار، ورغم قلة الإمكانات والأيدي الهندسية الماهرة المؤهلة والمدربة، إلاّ أن السيدة زبيدة استطاعت برجالها العاملين المخلصين أن ينفذوا هذا المشروع العملاق بطرق فنية متطورة تتساوى مع ما توصل إليه اليوم علم تقني هندسي، ولاسيما في قدرة العاملين آنذاك في سحب المياه عبر تلك المسافة الطويلة التي تمتد لمسافات بعيدة وعبر مرتفعات ومنخفضات جبلية وأودية وسحاري، فعملوا المناسيب المناسبة لمجرى العين والخرزات والقنوات بالحجر والجص حتى استطاعت المياه الانسياب عبر هذه القنوات والمضخات البدائية بكل سهولة ويسر حتى وصلت إلى المسجد الحرام بمكة المكرمة مروراً بمناطق المشاعر المقدسة متى وصلت ومزدلفة ولا تزال آثار القنوات المائية والخرازات قائمة إلى اليوم في سفوح الجبال وكأنه قد تم عملها بالأمس رغم مرور الزمن.

١ **الوليد بن طريف الشاري الخارجي** وهو رأس الخوارج كان مقيماً في **الجزيرة الفراتية** بنصيبين والخابور وتلك النواحي وخرج على الدولة في خلافة هارون الرشيد ففتك بإبراهيم بن خازم بن خزيمة بنصيبين، ثم قويت شوكة الوليد فدخل إلى **أرمينية** وحصر خلاط (في تركيا اليوم) عشرين يوماً فافتدوا منه أنفسهم بثلاثين، ثم سار إلى **أذربيجان**، ثم إلى **حلوان** وأرض السواد، ثم عبر إلى غرب دجلة وقصد مدينة بلد فافتدوا منه بمائة ألف وعاث في أرض الجزيرة وبنى وحشد جموعاً كثيرة، فأرسل إليه هارون الرشيد جيشاً كثيفاً مقدمه أبو خالد يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني (من قبيلة الوليد نفسها). فقتله في الأسبوع الأول من رمضان عام ١٧٩ هـ ، ودفن في « تل نهاكي ».

٢ خرج في العام نفسه (١٧٩ هـ) في **خراسان حمزة بن أترك السجستاني**، وبدأ ينتقل من مكان إلى آخر حتى قوي أمره في عام ١٨٥ هـ فعاث فساداً في باذغيس من أرض خراسان، غلب، وهر باتجاه كابل .

مرئية فضائية لموقعي الجزيرة الفراتية وسواد العراق

أبرز الذين خرجوا على خلافة هارون الرشيد من الخوارج في أرض الجزيرة الفراتية وسواد العراق أيضاً:

١ - خراشة الشيباني سنة ١٨٠ هـ، فسار إليه مسلم ابن بكار العقيلي فقتله، وتتبع أعوانه من الخوارج.

٢ - أبو عمرو الشاري، سنة ١٨٤ هـ خرج في الجزيرة لكنه سرعان ما تم تصفيته.

٣ - ثروان بن سيف، سنة ١٩١ هـ، خرج في سواد العراق؛ فوجه إليه هارون قائده طجوق بن مالك، فتمكن من الانتصار عليه وقتل أصحابه، وجرح ثروان، فظنه أنه قتل؛ لكنه فر جريحاً.

الخوارج في نظر الإباضية

الخوارج قديماً، هم طوائف من الناس من زمن التابعين رؤوسهم نافع بن الأزرق، ونجدة بن عامر، وعبد الله بن الصفار ومن شايعهم، وسموا خوارج لأنهم خرجوا عن الحق، وعن الأمة بالحكم على مرتكب الذنب بالشرك، فاستحلوا ما حرم الله من الدماء والأموال بالمعصية، وحين أخطأوا في التأويل لم يقتصروا على مجرد القول، بل تجاوزوه إلى الفعل، فاستعرضوا النساء والأطفال والشيوخ. وهم باعتقادهم وعملهم قد خرجوا من الإسلام وخرجوا عن الحق فهم الذين يمكن أن ينطبق عليهم الحديث الوارد في المروق من الدين.

موقع شبكة الدفاع عن السُّنة

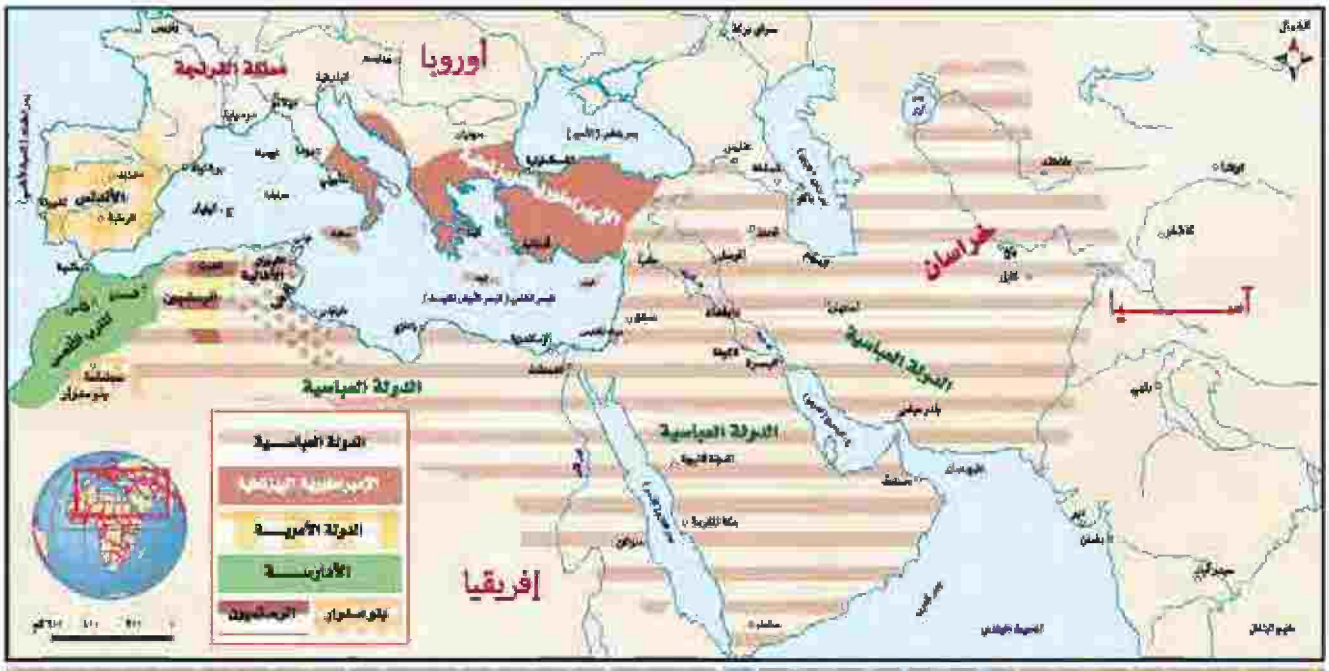

حدود الدولة العباسية في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد رحمه الله تعالى

مجموعة من الدنانير العباسية التي سكت في عهد أمير المؤمنين هارون الرشيد رحمه الله

وقف هارون الرشيد أمام السحاب ذات مرة، وقال لها: أمطري حيثما شئتي فسوف يأتني خراجك (أي زكاتك) بإذن الله تعالى.

وفاة هارون الرشيد (رحمه الله تعالى)

خرج **هارون الرشيد** من بغداد في سنة ١٩٣هـ / ٨٠٨ م، قاصداً خراسان لوضع حد لثورة رافع بن الليث، واستخلف ابنه محمد الأمين على بغداد، واصطحب معه ابنه عبد الله المأمون. وكان الرشيد يشكو من علة في بطنه ويرتدي حزاماً من حرير لتسكين الألم. ولما وصل إلى **طوس** في شهر صفر ، اشتدت عليه العلة حتى عجز عن القيام، وتوفي في ٣ من جمادى الآخرة ١٩٣هـ / ٢٤ من مارس ٨٠٩م وتولى ابنه الأمين الخلافة من بعده، وهو الخليفة السادس في سلسلة خلفاء الدولة العباسية.

أين دفن هارون الرشيد رضي الله عنه؟

طوس: ... فتحت في أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه وبها قبر علي بن موسى الرضا وبها أيضاً قبر هارون الرشيد،... . الحموي، معجم البلدان.

يروي ابن بطوطة في كتابه في وصف قبر الإمام علي الرضا بن موسى الكاظم رحمه الله " وإزاء هذا القبر قبر هارون الرشيد أمير المؤمنين رضي الله عنه ، وعليه دكانة يصنعون عليها الشمعدانات التي يوقدها أهل المغرب بالحسف والقناديل، وإذا دخل الرافضي للزيارة ضرب قبر الرشيد برجله، وسلم على الرضا " أ.هـ

أوصى الإمام علي بن موسى الرضا رحمه الله أن يُدفن بجوار قبر أمير المؤمنين هارون الرشيد !! ، وفي هذا منقبة لهذا الخليفة الصالح وأي منقبة لا "وفي الخرائج روي عن الحسن بن عباد و كان كاتب الرضا ع ، قال: دخلت عليه و قد عزم المأمون بالمسير إلى بغداد، فقال يا ابن عباد ما تدخل العراق و لا تراه فبكيت و قلت: هأيستني أن آتي أهلي و ولدي، قال: ع أما أنت فستدخلها و إنما عنيت نفسي فاعلم و توفي في قرية من قرى طوس و قد كان تقدم في وصيته أن يحفر قبره مما يلي الحائط بينه و بين قبر هارون ثلاث أذرع" (بحار الأنوار ج : ٤٨ ص : ٣٢٤) فلا يوصي الرجل ان يُدفن بجوار رجل ميت ، إلا وكان هذا الميت من الصالحين الأتقياء .. وهذا ما فعله الإمام علي بن موسى الرضا رضي الله عنه حينما جعل قبره مجاوراً لقبر أمير المؤمنين هارون الرشيد رضي الله عنه .

محمد الأمين

١٩٣-١٩٨هـ / ٨٠٩-٨١٣ م

هو **أبو موسى** محمد الأمين بن هارون الرشيد، بن محمد بن المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وهو الخليفة العباسي السادس وأمه زبيدة بنت جعفر. ولد بالرصافة سنة ١٧٠ هـ / ٧٨٦ م، وبويع له بالخلافة بعد وفاة والده الرشيد وبعهد منه.

كان الأمين جميل الصورة، فصيحاً على حظ وافر من الأدب، ينشد الشعر ويعطي عليه الجوائز الكثيرة، وكان أبو نواس شاعره الأثير. تأدب على الكسائي، وقرأ عليه القرآن. رماه أعداؤه بالانصراف إلى اللهو والمجون، والحق أن ما كتب عنه افتراء محض.

بويع بالخلافة في بغداد في ١٩ جمادى الآخرة سنة ١٩٣هـ/٨٠٩ م بعد وفاة أبيه. وكان أبوه هارون الرشيد قد جعله ولياً لعهده منذ سنة ١٧٥هـ/٧٨١م، وجعل له ولاية العراق والشام حتى أقصى المغرب، ولقبه بالأمين. ثم ما لبث أن بايع الرشيد ابنه عبد الله بعد الأمين في سنة ١٨٢ هـ/٧٨٨م ولقبه بالمأمون على أن تكون له ولاية خراسان وما يتصل بها من الولايات الشرقية، وفي سنة ١٨٦هـ/٧٩٢م بايع الرشيد ابنه القاسم بعد أخيه المأمون ودعاه المؤتمن، وجعل له ولاية الجزيرة والثغور. وكتب الرشيد بذلك صحيفة أشهد عليها القضاة والفقهاء وأكابر بني هاشم وعلقت في الكعبة. كما أنه تأكيداً لتنفيذ وصيته في ولاية العهد، دعا الأمين لكتابة كتاب يشهد فيه على نفسه بالوفاء للمأمون، كما دعا المأمون إلى كتابة كتاب آخر بالوفاء للأمين. ووضع هذين الكتابين إلى جانب الصحيفة التي كتبها للمؤتمن، وأشهد الجميع على ذلك[1].

لقد وضع الرشيد بذلك بذرة التفكك السياسي، وأوقع الخلافة في دهاليز مظلمة هي غنية عنها كانت لها نتائجها الخطيرة على مستقبل الخلافة. وأدى فيها الوزيران الفضل بن الربيع والفضل بن سهل الدور الأكبر في اندلاع نار العداوة والحرب بين الأخوين.

من أسباب الفتنة بين الأمين والمأمون: أن هارون الرشيد وفى عهده أولاً محمد الأمين، والمأمون أسن منه، ولم يكن ما يزيد الأمين إلا أنه ابن زبيدة (زوجة الرشيد عالية النسب والحسيبة إلى قلبه). أراد الرشيد بعد ذلك معالجة هذه الغلطة فعمل ما يزيلها شراً بتولية المأمون العهد بعد الأمين، ولم يقتصر على مجرد تولية العهد بل أعطاه من الامتيازات ما يجعله مستقلاً تمام الاستقلال بمنطقة خراسان والري عن أخيه الأمين.. فأصبح لكل من الأمين والمأمون جيشاً يتصرف فيه. ولم يقتصر الرشيد على ذلك بل أعطى أخاهم ثالثاً امتيازات أخرى وهي الجزيرة وأرمينية فأحس الأمين كأنه مقصوص الجناحين منزوعاً من سلطان أعظم بقاع الإسلام وأكثرها أعواناً وجنداً. وزاد الأمر اشتعالاً وجود الفضل بن الربيع الذي جرّأ الرشيد على إفساد ملكه وقلل اهتمامه... فكان في نفة الأمين وهو الذي أغراه بأخيه المأمون ولم يكن الأمين ينوي قتاله إنما فعل الفضل ذلك خوفاً على مصالحه. لقد وصل الخلاف بين الأخوين إلى الاقتتال، والعتيقة لم يكن للأمين حسن تدبير بل كان مشغولاً باللهو واللعب، وكان عنده ثقة أنه سيقهر أخاه، بينما كان المأمون مشغولاً بتدبير أمره يجمع إلى مجلسه العلماء والفقهاء ويجلس معهم، حتى أشربت قلوبهم محبته، وباختصار فقد انتهى الأمر بمقتل الأمين على يد أحد قواد المأمون وبايع الناس المأمون. د. راغب السرجاني، موقع قصة الإسلام.

١ - أميلة بيطار، الموسوعة العربية، مج ٣، ص ٦٨٩، دار الفكر، دمشق - سوريا.

مرّ النزاع بين الأمين والمأمون بمرحلتين:

١ جهز الأمين سنة ١٩٥هـ/٨٠١م جيشاً بقيادة علي بن عيسى بن ماهان لقتال أخيه، ولكن طاهر بن الحسين، قائد جيش المأمون، هزمه وقتله بظاهر الريّ، وتتابعت جيوش الأمين إلا أنها أخفقت في إحراز النصر، واستولى طاهر على الجبل والأهواز وأعمالهما، وواسط والمدائن، ولمّا وصل هرثمة بن أعين مدداً لطاهر، توجه جيش المأمون إلى بغداد سنة ١٩٧هـ وحاصرها حتى اشتد الضيق بأهلها ونفد الطعام من بغداد واضطربت الأحوال فيها، واستولى جيش المأمون على ضياع من لم يستسلم من بني هاشم وقواد الأمين وغيرهم، واضطر الأمين إلى بيع كل ما يملك لينفق على من بقي من الجند وليجمّعهم ويبقيهم إلى جانبه، فلما استسلم عدد من بني هاشم ومن القواد إلى طاهر بن الحسين ومن هؤلاء صاحب شرطة الأمين، أدرك الخليفة أن لا فائدة من الاستمرار في القتال فقرر الاستسلام، وأرسل يطلب الأمان لنفسه فأمنه هرثمة وصار إليه الأمين فأركبه خَرّاقة وركب هو معه وأحسن لقاءه ولكن طاهر بن الحسين لم يرض عن صنيع هرثمة فأمر بنقب الخراقة فغرقت، واستطاع الأمين أن يسبح ونجا بنفسه، ثم لجأ إلى بيت رجل من العامة، ولكن جند طاهر فتشوا عليه وقتلوه، وأمر طاهر بنصب رأس الأمين فوق رمح ليراه الناس، ثم بعث به مع البردة والقضيب والنعل إلى المأمون كما بعث موسى وعبد الله ابني الأمين إلى عمهما المأمون.

٢ بعد هذه الحادثة تأكدت طليعة الصراع بين الأخوين الأمين والمأمون الذي انتهى بانتصار القوة الفارسية بزعامة المأمون وتخطيط كاتبه الفارسي (الفضل بن سهل)، بينما أفلت التطلعات العربية بمقتل الأمين وتدبير الفضل بن الربيع كاتبه.

عبد الله المأمون

١٩٨ - ٢١٨هـ / ٨١٣ - ٨٣٣ م

هو **أبو جعفر** عبد الله المأمون بن هارون الرشيد، أمير المؤمنين، بن محمد بن المنصور عبد الله ابن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، وأمه فارسية يقال لها مراجل الباذغيسية.

ولد سنة سبعين ومائة في ليلة الجمعة منتصف ربيع الأول وهي الليلة التي مات فيها الهادي واستخلف أبوه. قرأ العلم في صغره، وسمع الحديث من أبيه وهشيم، وعباد بن العوام، ويوسف بن عطية، وأبي معاوية الضرير، وإسماعيل ابن علية، وحجاج الأعور، وطبقتهم. وأدبه اليزيدي وجمع الفقهاء من الآفاق وبرع في الفقه والعربية وأيام الناس ولما كبر عني بالفلسفة وعلوم الأوائل ومهر فيها. روى عنه: ولده الفضل، ويحيى ابن أكثم، وجعفر بن أبي عثمان الطيالسي، والأمير عبد الله بن طاهر، وأحمد بن الحارث الشيعي، ودعبل الخزاعي و غيرهم .

قال أبو معشر المنجم: كان المأمون أماراً بالعدل، فقيه النفس يعد من كبار العلماء. وعن الرشيد قال: إني لأعرف في عبد الله حزم المنصور، ونسك المهدي، وعزة الهادي؛ ولو أشاء أن أنسبه إلى الرابع يعني نفسه لنسبته. أصبح الأمر في المشرق والمغرب تحت سلطان المأمون وهو سابع خلفاء بني العباس، لقد كان المأمون في ذلك الوقت والياً من قبل والده على "خراسان" وكان يقيم في عاصمتها "مرو"، وكان من الطبيعي أن يفضّلها بعد أن انفرد بالخلافة.

إنها تضم أنصاره ومؤيديه، فهو هناك في أمان واطمئنان، وكان الفرس يودون أن يبقى "بمرو" لتكون عاصمة الخلافة، ولكنها بعيدة عن مركز الدولة، وهي أكثر اتجاهاً نحو الشرق، مما جعل سيطرتها على العرب ضعيفة، بل إن أهل بغداد أنفسهم دخلوا في عدة ثورات ضد المأمون؛ حتى إنهم خلعوه أخيراً، وبايعوا بدلاً منه عمه إبراهيم بن المهدي، واضطر المأمون أخيراً أن يذهب إلى بغداد وأن يترك "مرو" للقضاء على هذه التحركات في مهدها. موقع أسرة آل باوزير العباسية .

ولاية العهد لعلي الرضا (العلوي): كان معظم أعوان المأمون من الفرس، ومعظمهم من الشيعة، ولهذا اضطر المأمون لمسألة الشيعة وكسبهم إلى جانبه، فأرسل إلى زعماء العلويين أن يوافوه في عاصمته (وكانت مرو في ذلك الوقت)، فلما جاءوه أحسن استقبالهم، وأكرم وفادتهم، وما لبث بعد قليل أن عهد بولاية العهد إلى "علي الرضا" وهي طبعاً خطوة جريئة؛ لأن فيها نقلاً للخلافة من البيت العباسي إلى البيت العلوي. ولم يكتف بهذا، بل غير الشعار من السواد وهو شعار العباسيين إلى الخضرة وهي شعار العلويين. وبرغم اعتراض أقاربه من العباسيين، فإن المأمون كان مصراً على هذا الأمر، إذ كان يعتقد أن ذلك من بر علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-. وجاءت عمة أبيه زينب بنت سليمان بن علي، وكانت موضع تعظيم العباسيين وإجلالهم، وهي من جيل المنصور، وسألته: ما الذي دعاك إلى نقل الخلافة من بيتك إلى بيت علي؟ فقال: يا عمة، إني رأيت علياً حين ولي الخلافة أحسن إلى بني العباس، وما رأيت أحداً من أهل بيتي حين أفضى الأمر إليهم (وصل إليهم) كافأه على فعله، فأحببت أن أكافئه على إحسانه. فقالت: يا أمير المؤمنين إنك على برّ بني عليّ والأمر فيهلك، أقدر منك على برهم، والأمر فيهم.

ولكن لم يلبث "علي الرضا" أن مات وكان ذلك في سنة ٢٠٣هـ/ ٨١٩م، وعلى كل حال لقد استطاع المأمون بيعة "علي الرضا" أن يقوي من سلطانه؛ لأنه بهذه البيعة أمن جانب العلويين. ولكن قامت ضد الخليفة المأمون ثورات عديدة اختلفت في مدى عنفها وشدتها، واستطاع القضاء عليها جميعاً.

دينار عباسي يرجع إلى عهد الخليفة المأمون

المأمون والعودة إلى عاصمة الدولة (بغداد)

١ أدرك الخليفة المأمون بعد أن أطاعه علي الرضا بن موسى الكاظم على الأوضاع المتردية في أنحاء الدولة ، أن لا جدوى من بقائه في مرو بخراسان، وأن بغداد لا تستطيع أن تعيش من دون خليفة.

٢ الخليفة المأمون يقرر في سنة ٢٠٢ هـ العودة إلى بغداد (العاصمة المركزية) ليؤكد بداية زوال التأثير الفارسي على توجهاته السياسية التي اصطبغت بها طوال المدة التي قضاها في مرو؛ مما أزعج وزيره الفارسي الفضل بن سهل (صاحب الرئاستين).

٣ لم يكد المأمون يبدأ رحلة العودة إلى بغداد، حتى تم تصفية وزيره الفضل بن سهل – كما تزعم بعض الروايات – في شهر شعبان سنة ٢٠٢ هـ ، ثم استأنف رحلة العودة إلى بغداد ؛ لكن هذه المرة توفي علي الرضا فجأة في أوائل سنة ٢٠٣ هـ ، فدفنه المأمون فيها بجوار قبر والده الرشيد، ومنذ ذلك اليوم أطلق أتباعه على طوس (مشهد). وكانت وفاة هذين الرجلين من الأسباب التي هيأت الأمر رأساً على عقب على المأمون .

أولاً : الحركات الطالبية

١	حركة أبي السرايا الشيباني الذي قام بأمر محمد بن إبراهيم بن إسماعيل (ابن طباطبا) في الكوفة.
٢	حركة محمد (الديباج) ابن جعفر الصادق سنة ٢٠٠ هـ في الحجاز وبويع له في مكة بإمرة المؤمنين .

ثانياً : الحركات غير العلوية

١	حركة نصر بن شبث العقيلي في حلب .
٢	حركة الزط في جنوبي العراق (أرض البطائح) .
٣	الاضطرابات في مصر .
٤	حركة بابك الخرمي .

ثالثاً : العلاقة مع البيزنطيين

١	ازدياد السجال بين المسلمين والبيزنطيين سنة ٢١٥ هـ ولاسيما بعد تحالف الخرمية مع البيزنطيين .

١ أبو السرايا: السري بن منصور الشيباني يدعو بأمر محمد بن إبراهيم (ابن طباطبا) في الكوفة . حيث تعد حركته حلقة في سلسلة حركات الشيعة الزيدية.

٢ أبو السرايا بدأ ببسط نفوذه على البصرة والحجاز واليمن، وأوقع الهزيمة بالجيوش العباسية التي أرسلها الحسن بن سهل للتصدي لدعوته .

٣ أبو السرايا يغدر بصاحبه (ابن طباطبا)بالسم ويتخلص منه، ويولّي مكانه محمد بن محمد بن زيد العلوي (الغلام)، ويقوم بإرسال كسوة للكعبة المشرفة، ويسقط كسوة آل عباس، واستطاع خلال هذه المدة سك الدراهم النقدية.

٤ الحسن بن سهل يكلّف هرثمة بن أعين بالتوجه إلى الكوفة لإخماد حركة أبي السرايا، الذي لم يجد مفراً من الهروب من الكوفة إلى أرض السوس من بلاد الأهواز ، ثم إلى أرض الجزيرة لكن قبض عليه في جلولاء، وسيق إلى الحسن بن سهل في النهروان فضرب عنقه .

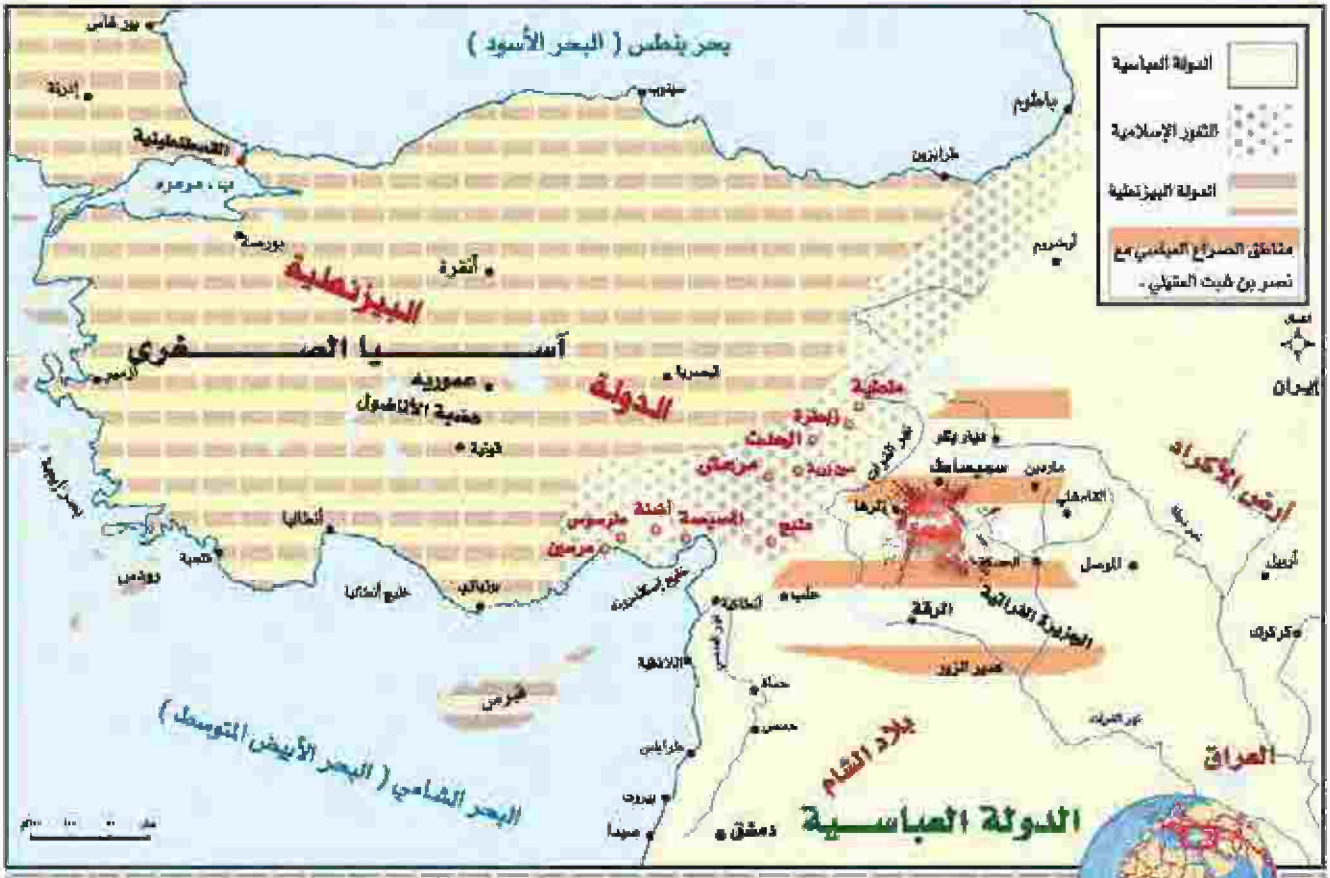

حركة نصر بن شبث بن كعب بن ربيعة العقيلي سنة ١٩٨ هـ

لم يرضَ نصر بن شبث عن سياسة المأمون باعتماده على الفرس فأبى مبايعته، وعلاوة على ذلك خرج عليه وثار في كيسوم وتغلب على ما جاورها من البلاد، وملك سُمَيْساط، واجتمع حوله كثير من الأتباع. فازدادت ثقته بنفسه وكبر طموحه وصار الفرات إلى الجانب الشرقي سنة ١٩٨هـ. وقوي أمره في الجزيرة الفراتية، وحرّان، ودخل في خلاف مع العباسيين وقتل بعض رجالاتهم، واتصل به بعض أشياع الطالبيين وفاوضوه أن يبايع آل أبي طالب فرفض، وعندما عرضوا عليه البيعة لأحد الأمويين رفض ذلك، وقال: «إن بني أمية أدبر أمرهم وإنما هواي في بني العباس وما حاربتهم إلاّ محاماة عن العرب لأنهم يقدّمون العجم عليهم». واستمر على موقفه المناوئ للخليفة المأمون. ومن الطبيعي ألا يرضى المأمون بذلك وألا يدع نصراً وشأنه واختار لمحاربته عبد الله بن طاهر الذي توجه إلى الرقة سنة ٢٠٦هـ. وطال أمدّ الحرب بينهما ولكن النتيجة لم تكن لمصلحة نصر فقد استطاع عليه عبد الله وحصره في حصن له وضيق عليه حتى اضطر إلى طلب الأمان، وهكذا أخفقت محاولة التمرد بن المأمون ونصر بن شبث، فاشتد عبد الله في حربه وطال حصاره في كيسوم وضيق عليه الخناق حتى استسلم آخر الأمر، وطلب الأمان فكتب له المأمون كتاب أمان. فسيّره عبد الله إلى بغداد وهدم كيسوم وخرّبها ودخل نصر بغداد سنة ٢١٠هـ.

كَيسُومُ: بالسين مهملة وهو الكثيرِ من الحشيش يقال روضةٌ أكسُوم ويكْسومٌ وكيسوم فيعول منه وهي، قرية مستطيلة من أعمال سُمَيساط ولها عرض صالح وفيها سوق ودكاكين وافرة وفيها حصن كبير على تلعة كانت لنصر بن شَبث تحصّن فيه من المأمون حتى ظفر به عبد الله بن طاهر فأخرجه ثم أحدَثَ بعدُ فيها مياهاً وبساتين. . . .

الحموي، معجم البلدان ج ٤، ص ٤٩٧.

حركة الزط

لما قامت الدولة العباسية عمل خلفاؤها جاهدين على الحفاظ على بلاد السند الإسلامية وسعوا على توسيع رقعتها، ففي عهد الخليفة الأول أبي العباس عهد بأمر هذه الأقاليم إلى أبي مسلم الخراساني الذي بدوره أرسل عدداً من الولاة إلى بلاد السند لاستمالة قلوب الناس هناك إلى دعوة بني العباس، كما جدد العباسيون بناء مدينة المنصورة وأقاموا بها مسجداً جديداً.

وعندما تولى أبو جعفر المنصور الخلافة عني بأمر بلاد السند وأرسل هشام بن عمرو التغلبي والياً عليها، فاتجهت همة هشام إلى توسيع رقعة إمارته، فجهز حملة بحرية على نارند والقندهار بقيادة عمرو بن جميل، كما ضم إقليم الكجرات واستولى على بروج ميناء بحر العرب، كما أخضع الملتان وبلغت جنده كابل وكشمير.

أما عن الزط القاطنين في جنوبي العراق فقد تكاثر عددهم مع مرور الأيام، وتزايدت قوتهم أثناء الفتنة بين الأمين والمأمون مما شجعهم على إثارة الفتن والقلاقل رغبة في التخلص من الظلم والجور الذي لحق بهم ورغبة في تحسين وضعهم المعيشي السيء. ولذا استغلوا وجود المأمون في مرو في بداية خلافته وتمردوا على السلطة وجسدوا تمردهم بإثارة الاضطرابات وعدم الاستقرار حتى تغلبوا على طريق البصرة، وبدأوا يغيرون على السفن القادمة إلى بغداد وينهبون غلاتها ويسيطرون على الطريق المائي المؤدي إلى بغداد فانقطع بذلك عنها جميع ماكان يحمل إليها من البصرة في السفن.

ولما استقر المأمون ببغداد سنة ٢٠٤هـ / ٨١٩ م شعر بخطرهم ورأى ضرورة التخلص منهم، فأوكل هذه المهمة إلى عيسى بن يزيد الجلودي سنة ٢٠٥هـ/ ٨٢٠ م.

أصل الزط

يفيد لامبريك استناداً على المصادر السنسكريتية بأن سكان السند الأصليين كانوا يدانون من الزط والميد، وأن الزط كانوا يعملون في البحر على السفن الصغيرة، بينما الميد كانوا يشتغلون بالرعي، ولكنه يعتقد بأن هناك خطأ قد حصل من قبل المترجمين والنساخ في استخدام الاسمين بحيث وضع أحدهما مكان الآخر، والدليل على ذلك أن ميد مكران لايزالون في الوقت الحاضر يعملون ويستخدمون البحر في الأسفار بينما نسل الزط يعملون كرعاة، ويقول الجغرافي أبو الفداء: " أما البلوص المذكورون فيقال لهم في زماننا الجت وهم طائفة تقترب لغتهم من الهندية " ويعني ذلك أن سكان لوجستان يسمون بالزط أيضاً وأن لغتهم قريبة من اللغة الهندية.

وهكذا وجدت آراء وروايات مختلفة لدى المؤرخين والجغرافيين العرب وغيرهم تتعلق بمساكن الزط والميد وأعمال كل منهما وطريقة معيشتهما، ولذلك يمكن أن نذهب إلى ماذهب إليه الدكتور عبدالله الطرازي، من أن قوم الزط وقوم الميد كانوا فرقاً كثيرة تحمل أسماء قبائل عديدة، وكانوا يسكنون مناطق مختلفة في بلاد السند وكان أفراد كل من القومين يشتغلون بالسفن والقرصنة في البحر وكذلك بالرعي أو قطع الطريق في البر تبعاً للبيئة والظروف المحيطة بهم، ويضيف أن كلاً من القومين كانا خطراً على الأمن والدولة وكانت الحكومات السندية القديمة والحكومات العربية كثيراً ماتفشل في إخضاع هؤلاء الأقوام وتوجيههم نحو الحياة الكريمة.

٢ **حركة الزط:** لما استتر المأمون ببغداد سنة ٢٠٤هـ / ٨١٩ م شمر بخطرهم في منطقة البطائح في جنوبي العراق، ورأى ضرورة التخلص منهم ، فوكل هذه المهمة إلى عيسى بن يزيد الجلودي سنة٢٠٥هـ/ ٨٢٠ م .(٧٩) غير أنه أخفق في القضاء عليهم ، فولى المأمون داود بن ماسجور سنة٢٠٦هـ / ٨٢١ م ولاية البصرة وكور دجلة واليمامة والبحرين وعهد إليه **بمحاربة الزط** وحينما فشل هو الآخر في القضاء على انتفاضاتهم المتلاحقة لعدم تمكنه من التوغل وسط الأهوار والمستنقعات والآجام والأماكن التي يعتصم بها الزط . وقد أدى عدم تمكن قواد المأمون من السيطرة على فتنة الزط ان سخر منه نصر بن شبث العقيلي الذي امتنع عن بيعة المأمون وتغلب على كيسوم في شمالي حلب وما جاورها ومنع إرسال خراج منطقته إلى بغداد فولى المأمون عبدالله بن طاهر لمحاربته ، وأقام عبد الله على محاربته خمس سنين وضيق عليه حتى طلب الأمان . وقد قبل نصر أمان المأمون بشرط ألا يطأ بساطه ، وقد رفض المأمون ذلك وكتب إليه يهدده بالقضاء عليه وعلى أتباعه وحين سمع نصر ذلك علق عليه ساخراً " ويلي عليه وهو لم يقو على أربع مائة ضفدع تحت جناحه . يعني الزط . يقوى على حلية العرب " ويدلنا تعليق نصر شبث الطريف هذا على أن انتفاضة الزط في عهد المأمون رغم قلة عددها . كانت قوية، حتى عجز قواده عن الانتصار عليهم ، كما يدل تشبيه الزط بالضفادع على أنهم كانوا يسكنون منطقة المستنقعات المائية في منطقة **البطيحة** جنوبي العراق.

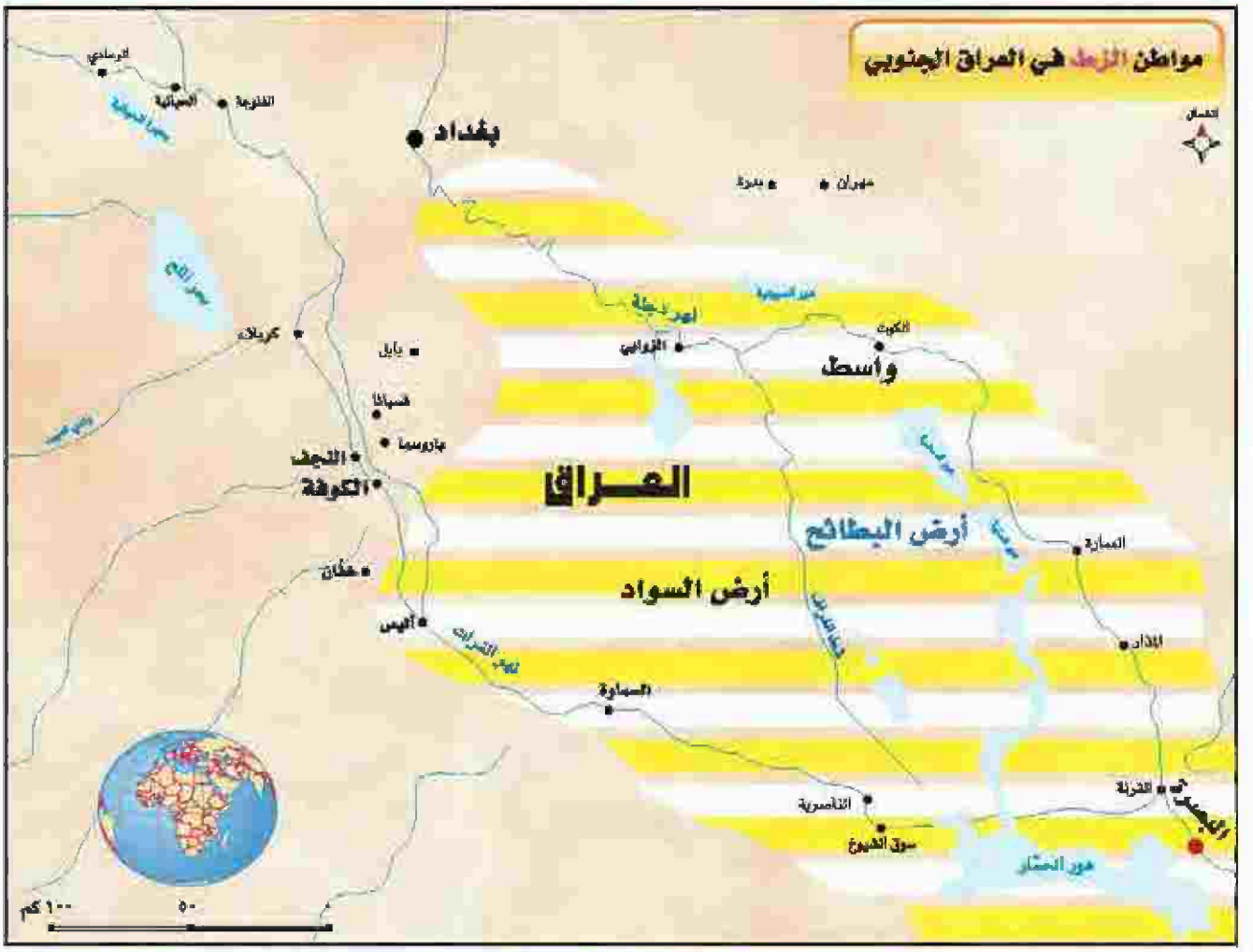

البطيحة ، بالفتح ، ثم الكسر ، وجمعها البطائح ، والبطحاء واحد ، وهو مسيل فيه دقاق الحصى ، وقيل بطحاء الوادي ، تراب لين ، مما جزته السيول ، وتبطح السيل ، إذا اتسع في الأرض ، وبهذا سميت بطائح واسط ، وذلك لأن المياه تبطحت فيها وسالت واتسعت في الأرض .لسان العرب لابن منظور.

والبطائح ، هي المنطقة الواقعة جنوبي العراق حيث الأهوار والمستنقعات التي تغذيها مياه نهري دجلة والفرات وتوابعهما ، وتقع تقريبًا بين واسط شمالاً والبصرة جنوبًا ، ولذلك تسمى أحيانًا ببطائح واسط ، أو بطائح البصرة نسبة إلى هاتين المدينتين المتجاورتين . وتبتدئ من القطر على دجلة ومن جنوب شرق الكوفة وتنحصر المجرى السفلي لكل من دجلة والفرات .

سدة الكوت عاصمة محافظة واسط بجمهورية العراق

١ أحداث سنة ٢٠٦ هـ

اشترك جند مصر في خلافات الأمين والمأمون كل فريق في جانب، وبعد أن انتهى الخلاف بفوز المأمون، ظل الخلاف قائماً بين جند مصر، بزعامة السري بن الحكم وأصبح موضع الخلاف التنافس على خيرات مصر، فكان الجند يجمعون الخراج لا ليرسل للخليفة، بل ليحتفظوا به لأنفسهم.

وقد قامت جيوش المأمون كثيراً بمحاربتهم مع أهل مصر الذين شاركوا في هذه الثورات، ولكن هذه الثورات ما لبثت أن أشعلت من جديد حتى أرسل إليهم جيشاً ضخماً، فاستطاع القضاء على الثورة نهائياً، كما تمكن قائده "طاهر بن الحسين" من القضاء على ثورات العرب أنصار الأمين.

٢

ثارت القبائل العربية سنة ٢١٤ هـ في مصر السفلى بسبب سياسة الولاة العباسيين التعسفية وقتلوا نائب الوالي، فتصدى المأمون لذلك فأرسل أخاه المعتصم، ثم أعقبه بقائده التركي الأفشين الذي قضى عليها نهائياً سنة ٢١٥ هـ.

الاضطرابات في مصر أيام الخليفة المأمون

بابَك Babak اسم معرّب من الفارسية Pápak، وهو صاحب الثورة الكبيرة (٢٠١-٢٢٢هـ) وزعيم الخُرّمية البابكية التي نشأت من طائفة الخُرّمية المزدكية. والخرمية فرق ونحل نشأت في خرّم (ناحية بأردبيل) تجمع على القول بالرجعة، وأن الرسل كلهم يحصلون على روح واحدة، وأن الوحي لا ينقطع أبداً، ويرون أن كل ذي دين مصيب إذا كان راجي ثواب وخاشي عقاب، وأصل معتقدهم القول بالنور والظلمة. وكان أتباع الخرّمية منتشرين في منطقة الجبال بين أذربيجان وأرمينية، وقد أحدث بابَك في مذاهب الخرمية القتل والقصب والحروب والتنكيل .

يرى بعض المؤرخين أن بابَك الخُرّمي من سلالة أبي مسلم الخراساني، وأنه ثار في وجه العباسيين لينتقم لأبي مُسلم، وأن ثورته استمرار لثورة المقنّع الخراساتي والراوندية وغيرها من الحركات المناهضة للإسلام. ويذهب أبو حنيفة الدينوري إلى أن بابك من ولد مطهّر بن فاطمة بنت أبي مسلم التي تنسب إليها الفاطمية من الخُرّمية لا إلى فاطمة بنت رسول الله ﷺ. ويذكر آخرون أن أباه كان بائع دهن فقيراً من أهل المدائن، نزح إلى ثغر أذربيجان، فسكن قرية تدعى بلال أباذ من رستاق ميمَذ، وأن جاويذان بن سهل الذي كان من زعماء الخُرّمية بجبال البَذّ كان أستاذ بابك، التقاه في بلال أباذ واصطحبه إلى جبال البذ وأوكل إليه أمر ضياعه وأمواله لأنه وجده على رداءة حاله وتعقد لسانه بالأعجمية فهماً خبيثاً. فلما توفي جاويذان، أقامت امرأته بابَك مكانه وادعت أن روح جاويذان حلّت جسد بابك، وأوعزت إلى رجال جاويذان بوجوب طاعته، لأن زوجها أخبرها بأن بابك «سيبلغ بنفسه وبالخُرّمية أمراً لم يبلغه أحد ولن يبلغه بعده أحد، وأنه سيملك الأرض ويقتل الجبابرة ويردّ المزدكية، ويعزّ به ذليلهم ويرفع به وضيعهم».

استغل بابَك اضطراب أمور الدولة إثر الصراع بين الأخوين الأمين والمأمون ومقتل الأمين ومكّث المأمون في مرو ليعلن ثورته سنة ٢٠١هـ/٨١٦م. **وكانت قاعدة الثوار البابكيين جبال البَذ**، ثم أخذوا يتوسعون في المناطق المجاورة ولاسيما منطقة الجبال بين همذان وأصفهان، وانتشروا بعد ذلك في طَبَرستان وجُرجان وبلاد الديلم، يعيثون فساداً، ويثيرون الاضطراب، يساعدهم على ذلك انصراف المأمون إلى الشؤون الخارجية وانهماك قواته في حرب البيزنطيين فضلاً عن طبيعة البلاد الجبلية الحصينة التي اعتصم بها بابك وجماعته، مما جعل أمر القضاء عليه صعباً جداً؛ وتوفي المأمون سنة ٢١٨ هـ من دون أن يتمكن من القضاء على هذه الثورة، فلما جاء المعتصم لم يبخل بتسخير كل قوته لقتال بابك والقضاء على حركته[١].

من حدائق أردبيل الأثرية في إيران

١ - أ. نجدة خماش، الموسوعة العربية، وموسوعة المعرفة على الشبكة العنكبوتية.

موجز أحداث حركة بابك الخرمي في عصر الخليفة المأمون

سنة ٢٠١ هـ

بداية أمر بابك واتبعه طوائف من الرعاع والسذج والجويذانية (وهم أصحاب جاويذان بن سهل صاحب مدينة البذ) وادعى بابك أن روح جاويذان دخلت فيه وأخذ في العبث والفساد .

سنة ٢٠٤ هـ

حارب قائد المسلمين يحيى بن معاذ ، بابك الخرمي فلم يظفر به .

سنة ٢٠٥ هـ

ولّى المأمون على أذربيجان وأرمينية عيسى بن محمد بن أبي خالد ، وأمره بقتال بابك.

سنة ٢٠٦ هـ

غلب بابك عيسى بن محمد بن أبي خالد وبيته ليلاً .

سنة ٢٠٩ هـ

وفيها جرت حروب مع بابك الخرمي فأسر بابك بعض أمراء الاسلام وأحد مقدمي العساكر، فاشتد ذلك على المسلمين.

سنة ٢١٢ هـ

وجه المأمون محمد بن حميد الطوسي على طريق الموصل لمحاربة بابك الخرمي في أرض آذربيجان، فأخذ الطوسي جماعة من الملتفين على بابك فبعث بهم إلى المأمون .

سنة ٢١٤ هـ

التقى محمد بن حميد الطوسي وبابك الخرمي لعنه الله، فقتل الخرمي خلقا كثيرا من المسلمين ، وقتل الطوسي أيضا وانهزم بقية المسلمين .

وولى المأمون أصبهان وآذربيجان والجبال وحرب بابك علي بن هشام، فواقع بابك غير مرة.

سنة ٢١٧ هـ

قتل علي بن هشام في قتال الخرمية .

سنة ٢١٨ هـ

وفاة الخليفة العباسي المأمون وتولي زمام الخلافة المعتصم بالله .

لم يقلل المأمون من قتال الروم، بل غزاهم أكثر من مرة، وفرح بإلحاقه هزائم بجيوش الإسلامية لغزوها سنة ٢١٥هـ/ ٨٣٠م، فافتتح حصن "لؤلؤة" وفتح حصوناً أخرى من بلادهم، ثم رحل عنها. وعاود غزو الروم في السنة الثالثة سنة ٢١٦هـ، فتح "هرقلة" ثم وثب قواده فافتتحوا مدناً كبيرة وحصوناً، وأدخلوا الرعب في قلوب الروم، ثم عاد إلى دمشق، ولما غدر الروم ببعض البلاد الإسلامية غزاهم المأمون للمرة الثالثة والتمام الثالث على التوالي سنة ٢١٧هـ، فاضطر الروم تحت وطأة الهزيمة إلى طلب الصلح.

الجبهة البيزنطية في عهد الخليفة العباسي المأمون

كادت الحرب أن تضع أوزارها بين المسلمين والبيزنطيين في عهد المأمون، فقد انهمك الخليفة في فض النزاع الذي قام بينه وبين أخيه الأمين مما أتاح لبيزنطة المنهكة فرصة لالتقاط أنفاسها.

لذلك شهدت الجبهة الإسلامية – البيزنطية (**منطقة الثغور**) ركوداً يكاد يكون تاماً باستثناء حالات قليلة . استمر هذا الوضع شبه المستقر حتى عام ٢٠٥ هـ / ٨٢٠ م، حين تجدد النشاط العسكري، نسبياً في عهد الإمبراطور ميخائيل الثاني. وقد استغل المأمون وميخائيل هذه الفتن والثورات التي قامت في وجه كل منهما لدعم موقفه. فعقد الأول اتفاقاً مع توماس الصقلبي الذي قاد ثورة مسلحة ضد النظام البيزنطي، في حين أجرى الثاني مفاوضات مع **الخرمية** الذين ثاروا في وجه المأمون .

والواقع أن الحملات الإسلامية النشطة على الأراضي البيزنطية ابتدأت في عام ٢١٥ هـ وجاءت رداً على الغارة التي نفذها الإمبراطور ثيوفيل ضد **زبطرة** بمساندة من القوات الخرمية. وقاد المأمون وابنه العباس **عدة حملات عسكرية** وتمكنا من فتح عدة حصون في منطقة كبادوكيا واستردا هرقلة ولؤلؤة .

فتح صقلية على يد القاضي أسد بن الفرات سنة ٢١٢ هـ

لقد رأى أسد بن الفرات النظر في حلال الله وحرامه فوق الإمارة، وأسمى منها، وأعلى منها مرتبة، فقال زيادة الله: "إني لم أعزلك عن القضاء، بل وليتك الإمارة، وأبقيت لك اسم القضاء، فأنت قاض أمير".

قبل ابن الفرات هذه الولاية، وعند الوداع في الميناء وقف المشيعون من العلماء وطلاب العلم والوجهاء ورجال الدولة وعامة الناس، يودعون قاضيهم وشيخهم ومعلمهم فكان مشهداً مؤثراً، وهو شيخ كبير قد جاوز السبعين من عمره، وانطلق ابن الفرات بتسع مئة فارس وعشرة آلاف راجل، وكان معظمهم من الجند المجاهدين في سبيل الله[١].

جزيرة صقلية جزيرة كبيرة واسعة فيها العديد من المدن والقرى والقلاع والحصون، وصلت الحملة بعد مسير خمسة أيام في البحر إلى جزيرة صقلية، ونزلوا في أقرب مدينة بها تسمى "مازارا" كان ذلك عام ٢١٢هـ.

انهزم البيزنطيون أمام أسد بن الفرات ممن كانوا في هذه المدينة وهربوا إلى مدينة أخرى تسمى "قصريانة"، وفتح المسلمون عدة حصون من الجزيرة ووصلوا إلى أحد القلاع، وقد اجتمع بها خلق كثير، فخادعوا ابن الفرات على الصلح وأداء الجزية، حتى استعدوا للحصار، ثم امتنعوا عليه فحاصرهم، عندها قام أسد بن الفرات في الناس خطيباً فذكرهم بالجنة وموعود الله -عز وجل- لهم بالنصر والغلبة وهو يحمل اللواء في يده ثم أخذ يتلو آيات من القرآن ثم اندفع للقتال والتحم مع الجيش الصقلي الجرار، واندفع المسلمون من ورائه ودارت معركة طاحنة لا يسمع منها سوى صوت قعقعة السيوف وصهيل الخيول والتكبير الذي يخترق عنان السماء، والأسد العجوز أسد بن الفرات الذي جاوز السبعين يقاتل قتال الأبطال الشجعان حتى إن الدماء كانت تجري على درعه ورمحه من شدة القتال وكثرة من قتلهم بنفسه وهو يقرأ القرآن ويحمس الناس[٢].

---

١ - ٢ . أ. ناصر بن محمد الأحمد، فتح صقلية.

أسد بن الفرات (١٤٢-٢١٣هـ/ ٧٥٩-٨٢٨م)

هو أبو عبد الله، أسد بن الفرات بن سِنان من موالي بني سُليم، فقيه قاضٍ مصنّف وأحد القادة الفاتحين، ولد بحرّان، وكان أبوه خراسانياً من أفراد الجيش الذي أرسله الخليفة العباسي المنصور إلى إفريقية (تونس اليوم) بقيادة محمد بن الأشعث الخزاعي، فاصطحب الأب ابنه وعمره سنتان إلى القيروان فنشأ فيها ثم رحل إلى تونس وفيها قرأ القرآن وتلقى مبادئ العلوم واستكمل دراسته على يد زياد العبسي. اتخذ ابن الفرات فيما بعد من القيروان مقراً له بعد عودته، فأقبل عليه الناس من كل مكان، من المغرب والأندلس، واشتهر أمره، وظهر علمه، وارتفع قدره، وانتشرت إمامته، وجاءته الأسئلة من أقصى البلاد ليجيب عليها.

اتسعت دراسته في القيروان، فولاّه أمير الأغالبة في ذلك الوقت "زيادة الله" منصب القضاء، فأصبح هو القاضي في مدينة القيروان.

وكان أسد بن الفرات على عقيدة أهل السنة والجماعة، عقيدة السلف الصالح، لذلك كان من أشد علماء المغرب على أهل البدعة، معروفاً بنشر السنة.

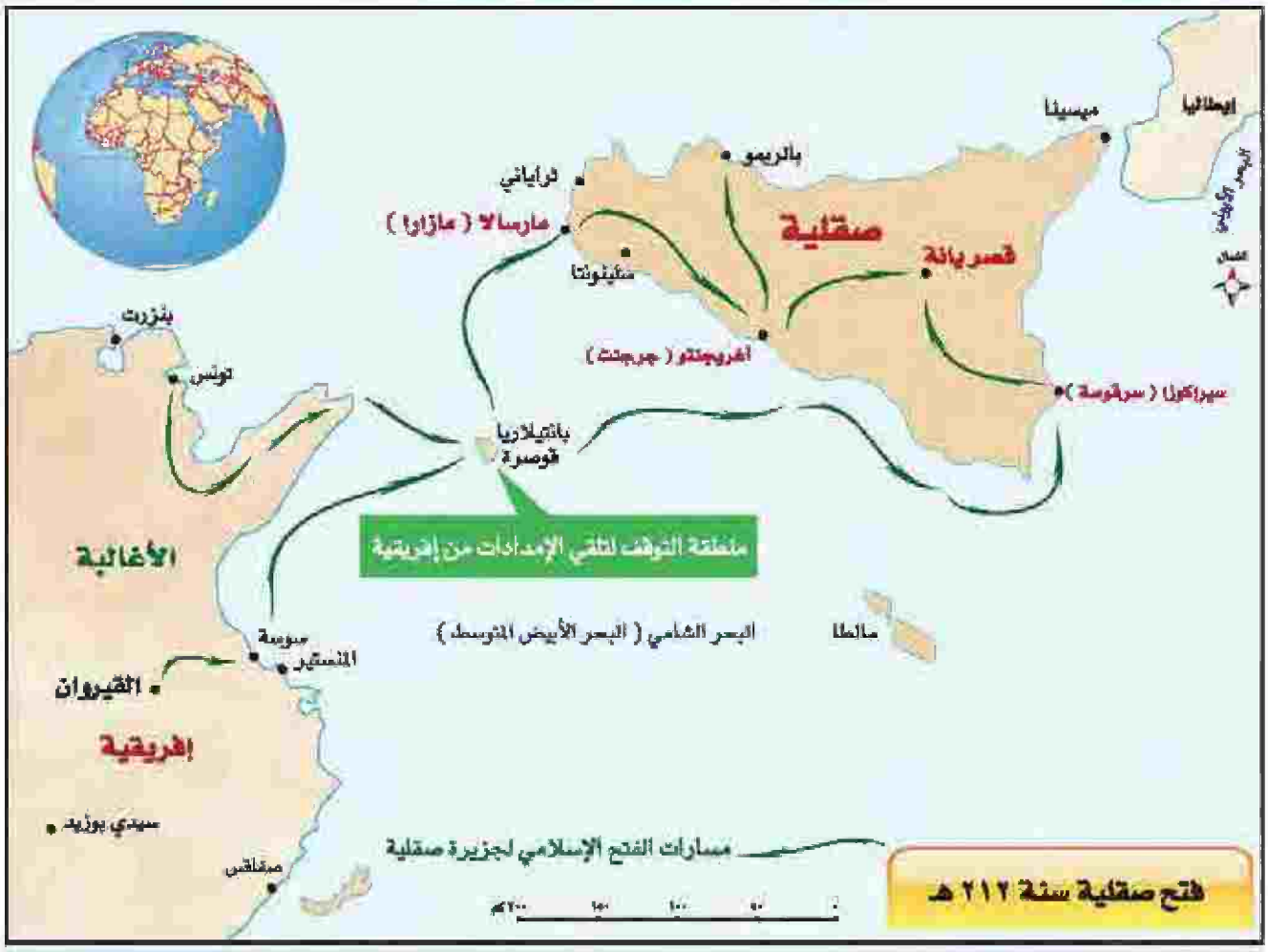

تزايدت عزائم المسلمين حتى هزموا الجيش الصقلي شر هزيمة، وفر بلاطه من أرض المعركة وانسحب إلى مدينة **قصريانة**، ثم غلبه الخوف من لقاء المسلمين ففر إلى إيطاليا وهناك قتل على يد بني دينه بسبب جبنه وإحجامه عن قتال المسلمين. وزحف البيزنطيون بعد ذلك إلى المسلمين وهم يحاصرون مدينة "سرقوسة"، واشتد حصار المسلمين لهذه المدينة براً وبحراً، وأصيب عدد كبير من المسلمين، وهلك عدد آخر، واشتد القتال عندما بعث الإمبراطور البيزنطي مدداً لصقلية، وجرح ابن الفرات وهو يبدي حسن التدبير، وصدق الإيمان، وقوة الإرادة، فمات -رحمه الله- متأثراً بجراحه، ودفن بمدينة "قصريانة".

خلف ابن الفرات في القيادة محمد بن أبي الجواري، وجاء أسطول بيزنطي آخر، فتراجع المسلمون نحو الشمال، لكنهم فتحوا في طريقهم أحد الحصون، وحاصروا قصريانة مرة أخرى. وتوفي محمد بن أبي الجواري أيضاً، فتولى من بعده زهير بن عوف، وضاق الأمر بالمسلمين إلى أن وصل مدد إفريقية، وأسطول آخر من الأندلس من ثلاث مئة مركب بقيادة "الأصبغ"، فانتصر المسلمون، وتوفي الأصبغ أيضاً بطاعون انتشر في ذلك الوقت، غير أن الخلافات التي وقعت بين المسلمين الأندلسيين، والمسلمين الإفريقيين، قد أخرت إتمام فتح الجزيرة.

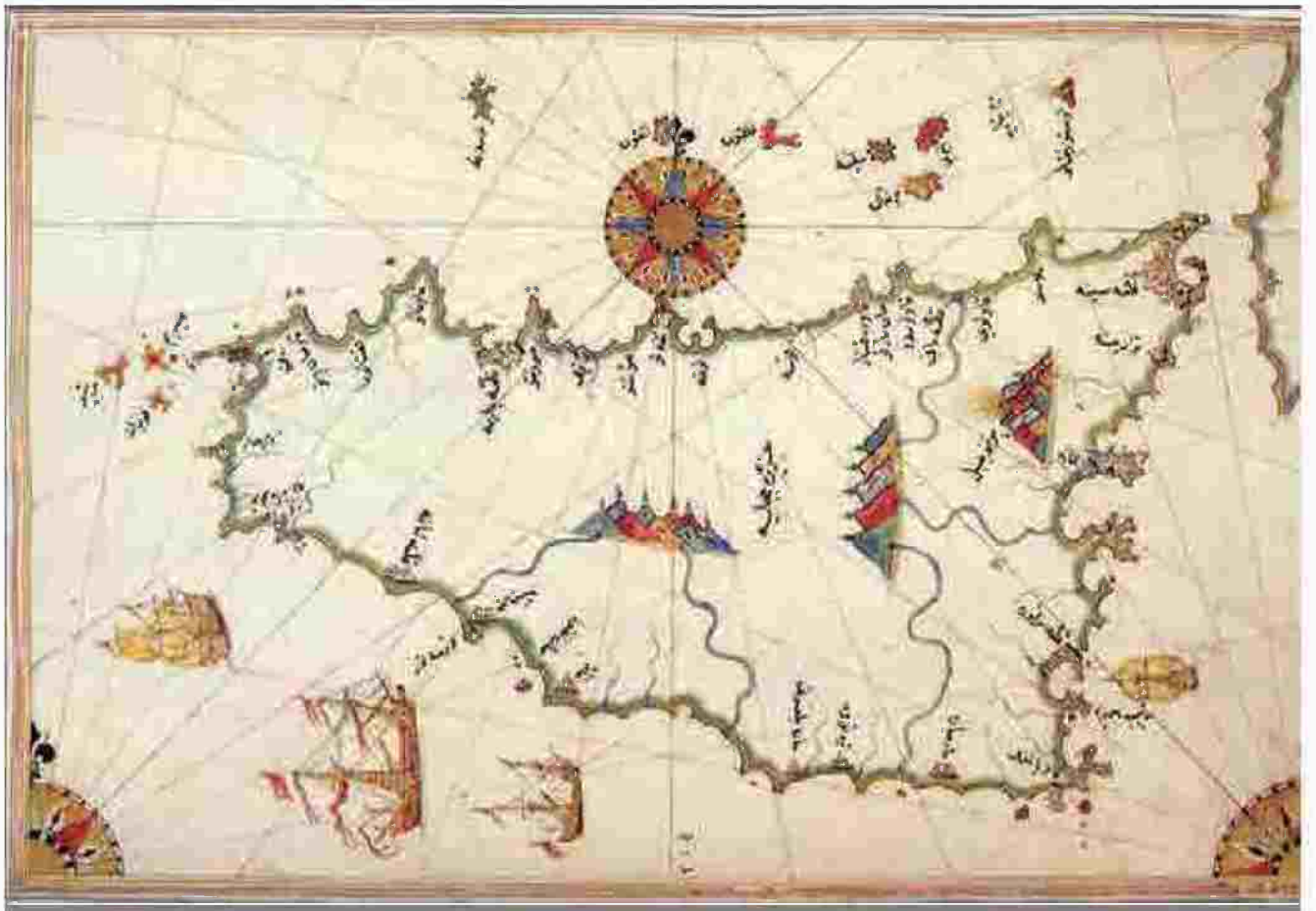

خارطة تاريخية لجزيرة صقلية في البحر الأبيض المتوسط تعود لبيري رئيس

قلعة كالتانيسيتا الأثرية (صقلية)

صقلية (بالكلة)، هي أكبر جزيرة في البحر الأبيض المتوسط، ومنطقة ذاتية الحكم في إيطاليا.

كنيسة باروكية في مودكا

مبنى (سان جيوفاني ديجلي إريميتي)، وتظهر فيه القباب الحمراء كعناصر بارزة من تأثيرات العمارة الإسلامية

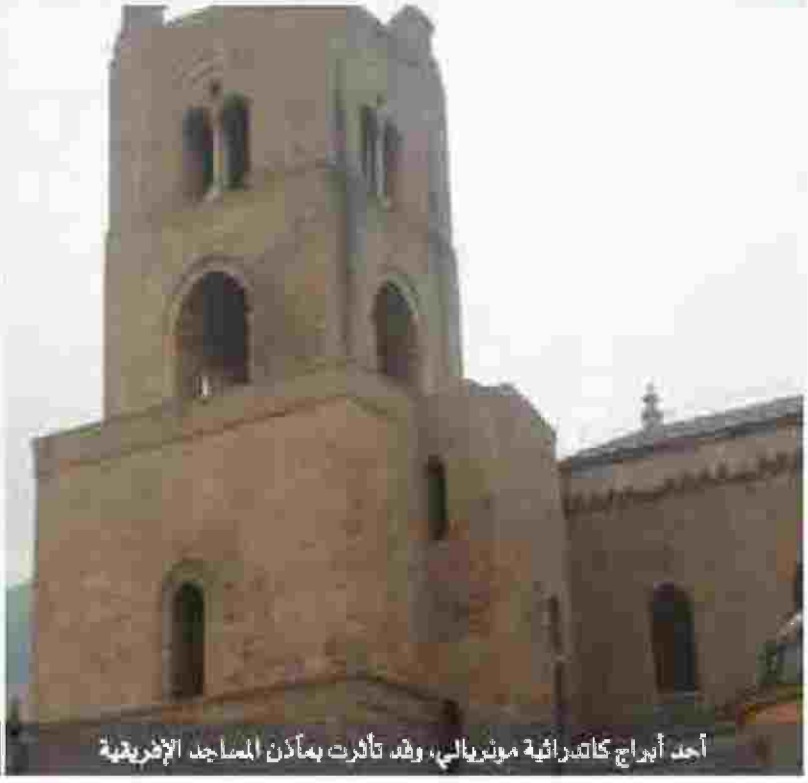

أحد أبراج كاتدرائية مونريالي، وقد تأثرت بمآذن المساجد الإفريقية

دينار أغلبي ضرب عام ١٩٢ هـ / ٨٠٨ م في عهد إبراهيم بن الأغلب

ورقة من المصحف الأزرق، متحف رقادة

بنى **الأغالبة** مدينتين ملكيتين كانت أولاهما العباسية أو القصر القديم، وقد بناها إبراهيم بن الأغلب مؤسس الدولة، وبنى فيها قصره ومساكن حاشيته والمسجد الجامع، ودار سك النقود والدواوين، وأحاطها بالأسوار القوية، وجعل من خلفها خندقاً يحيط بها. وفي وسط المدينة ساحة واسعة عرفت بالميدان كانت تستخدم لعرض الفرسان، واتسعت العباسية، وأخذت تنافس القيروان بحماماتها الكثيرة وفنادقها وأسواقها.

أما المدينة الثانية فهي **رقّادة** التي بناها إبراهيم بن أحمد، وقد ابتدأ بها سنة ٢٦٣هـ/ ٩٧٧م وبنى فيها القصور، منها قصر يغداد، وقدر لهذه المدينة أن تنمو وتتسع باطراد، فأضاف إليها الأمراء من بعده قصوراً أخرى أشهرها قصر العروس الذي بناه زيادة الله الثالث بن عبد الله على أربع طبقات، وأنفق فيه ٢٣٢ ألف دينار. وبنى محمد بن أبي مقال الأغلب مدينة قرب تاهرت سماها العباسية. كما اهتم الأغالبة ببناء الصهاريج (خزانات المياه) التي عرفت باسم «ماجل»، وكان يوجد خارج مدينة القيروان خمسة عشر ماجلاً للماء يستقي منها أهلها، لعل أعظمها شأناً ماجل أحمد بن الأغلب بباب تونس من أبواب القيروان. وهو مستدير متناهي الكبر، انظر ص (٩٨) من هذا الأطلس.

ثورة أهل الريض في الأندلس في عهد الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل، حيث كانوا يسكنون ضاحية من ضواحي قرطبة يفصلها عن المدينة واد شيد عليه هشام بن عبد الرحمن جسراً رابطاً المدينة بضواحيها الجنوبية. وكان سكان أهل الريض من الطبقة الشعبية واقعين تحت تأثير علماء الدين الذين ناصبوا العداء للحكم بن هشام؛ لما أبعدهم عنه وقلص نفوذهم فاستغلوا الحالة الاجتماعية لهؤلاء السكان وإحساسهم بالظلم والفقر فألبوهم على الأمير، فامتلأت كأسهم حنقاً على حكومتهم ولم تنقصهم سوى قطرة تفيض تلك الكأس، وكان أن وقع حادث بسيط اعتدى فيه جندي على حداد (صانع للسيوف) قتل فيه الإثنان وفاضت كأس الثورة. فخرج أهل الريض في جماعات كبيرة في أيديهم ما وصل إليها من سلاح واتجهوا صوب قصر الإمارة عبر الجسر وحاصروا قصر الحكم وحاولوا اقتحامه لقتل الأمير. ولم يكن الوقت يحتمل إلا سويعات ليُقضى على الحكم وذلك ليعد الجيش عنه، ولكنه بحنكته ودهائه تصدى للخطر الداهم بحيلة جبارة أخمدت الثورة وأشعلت النار بأعدائه:

إذ أمر رئيس حراسه أن يستميت بما معه من جند في الدفاع عن القصر، وأرسل أحد أبناء عمومته وأمره أن يتسلل بسرعة في زمط من الرجال إلى مساكن أهل الريض ويشعل فيها النار، وتم له ذلك إذ استطاع ابن عمه أن يشعل مساكن الثوار الذين أستعد بعد ذلك في أيديهم لما رأو احتراق بيوتاتهم ففزعوا سراعاً تاركين قصر الحكم لإنقاذ صغارهم ونسائهم، وحاصرهم بعد ذلك جند الأمير الحكم الربضي **فأمرهم بعد هزيمتهم بالرحيل عن بلاد الأندلس** وأمهلهم ثلاثة أيام ثم أحرق جميع ديارهم وسواها بالأرض وجعلها حقولاً وأوصى بها ألا تسكن أبداً. وكانت الواقعة **حوالي سنة ٢٠٢ للهجرة** وارتبط اسم الريض بالأمير الحكم فصار كنية له (الحكم الربضي).

أما الربضيون فقد غادر جزء منهم جزيرة الأندلس عبر مضيق جبل طارق إلى بلاد المغرب العربي فاستقبلتهم دولة الأدارسة الناشئة حديثاً واستفادت منهم في مجال الصناعة والحرف باعتبار أن أغلبهم كانوا صناعاً وحرفيين مهرة فنقلوا إلى **فاس** مظاهر الحضارة الأندلسية.

وجزء آخر من أهل الريض ساروا شرقاً عبر البحر وهاجموا **الإسكندرية** فصدهم عنها والي العباسيين بمصر عبد الله بن طاهر بن الحسين بعد معارك كبيرة انتهت بتسليم أهل الريض، فأمرهم بعد ذلك بالارتحال عن كامل أراضي العباسيين وأعد لهم مراكب لإجلائهم فقصدوا جزيرة **كريت** وانتزعوها من يد البيزنطيين وأقاموا لهم فيها دولة إسلامية عرفت **بالدولة الكلبية**، وصارت هذه الدولة المجاهدة تتلقى المساعدات من مصر والشام وإفريقية بوقوفها سداً منيعاً في وجه البيزنطيين.

دولة بني زياد (٢٠٤ - ٤٣١هـ) (٨١٩ - ١٠٤٠م)

انتدب الخليفة العباسي: **المأمون** بن هارون الرشيد من عاصمة خلافته آنذاك (مرو) قبل استقراره ببغداد محمد بن عبد الله بن زياد وبرفقته حقيد سليمان بن هاشم بن عبد الملك وزيراً، ومحمد بن عبد الله بن هارون التغلبي قاضياً ومفتياً لزبيد سنة ٢٠٣هـ، فقدم زبيد بعد أن أدى فريضة الحج واختط **زبيد** عسكرياً سنة ٢٠٤هـ ومعنى الاختطاط إخضاع المنطقة عسكرياً بعد معارك حاسمة، وفي سنة ٢٠٥هـ بعد استقراره **اتخذ زبيد عاصمة**، وفي سنة ٢٠٦هـ قدم مولاه جعفر بن محمد بن شعار بجنود من الغزو الخراسانيين والترشيين لإمداد ابن زياد ببسط نفوذه على اليمن فقتل (ابن زياد بجعفره) واستطاع أن يمد نفوذه إلى مناطق أخرى في اليمن. وقد استمر أحفاده في الحكم حتى عام ٤٣١هـ ١٠٤٠م فبنوا دولة السياسة والعلم.

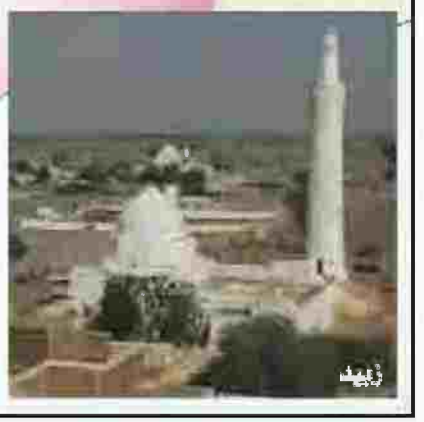
زبيد

دينار زيادي ضرب زبيد

الدولة الطاهرية (٢٠٥-٢٥٩هـ/٨٢١-٨٧٣م): قامت هذه الدولة في خراسان، وقد أسسها **طاهر بن الحسين** أحد كبار قواد الجيش في عهد الخليفة **المأمون** وفي عصر المأمون، كان طاهر بن الحسين وابنه عبد الله من كبار رجال الدولة وخيرة قادتها في ذلك الوقت؛ الذي بدأ فيه الصراع بين الأمين والمأمون. ولقد وقف طاهر بن الحسين إلى جوار المأمون في كثير من المواقف الحرجة حتى تمكن من الخلافة. ولم يمرّ إلا عامان حتى أقدم "طاهر بن الحسين" على خطوة جريئة سنة ٢٠٧هـ/ ٨٢٣م. يقطع الدعاء في الخطبة للمأمون، وكان قطع الدعاء يعني الاستقلال عن الخلافة. وتوفي طاهر في العام نفسه، ثم تولى ابنه طلحة الحكم بعد أبيه بأمر من الخليفة المأمون، وظل الطاهريون يحكمون خراسان، ولكنهم يتبعون "الدولة العباسية" تبعية اسمية مما جعل الخلافة العباسية تلجأ إلى الطاهريين، تلتمس منهم المؤازرة والمساندة ضد الخارجين على سلطانهم.

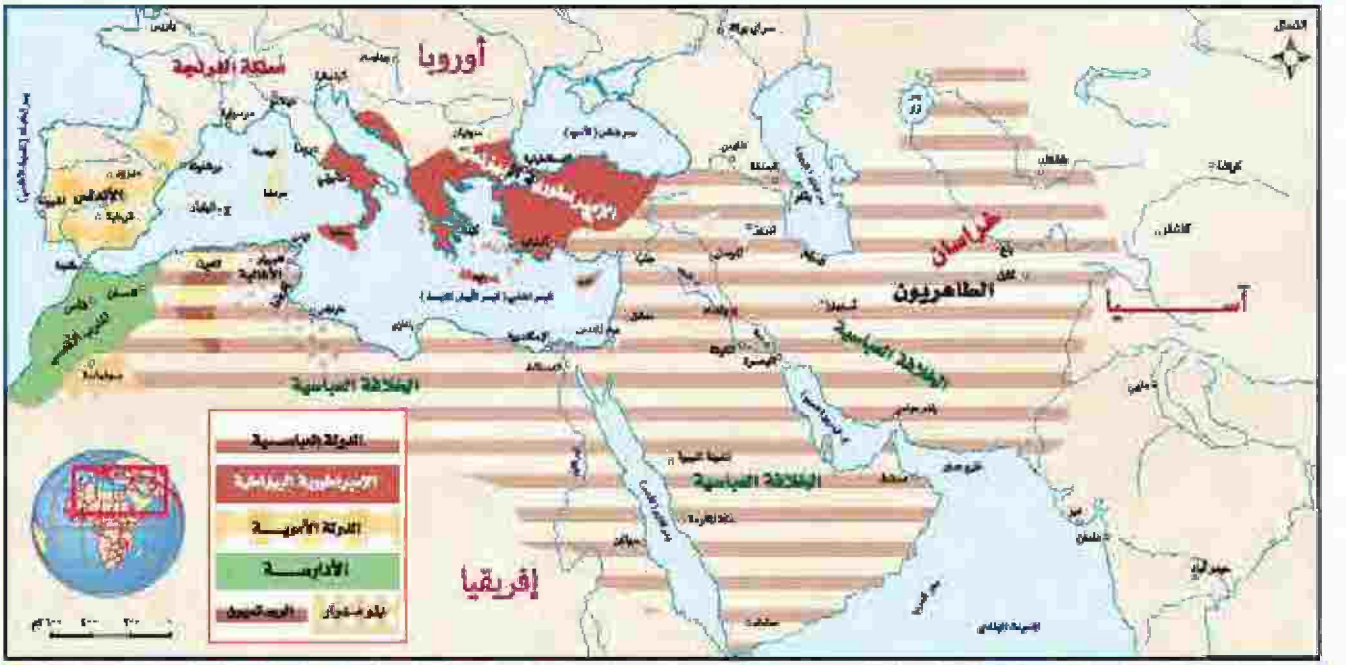

الدولة العباسية في عهد الخليفة المأمون

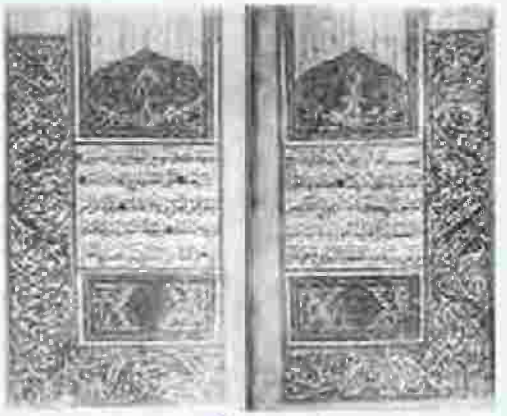

صفحتان مكتوبتان بالأبجدية السريانية الغربية، اكتشفت في دير القديسة كاترينا في سيناء وترقى للعصر العباسي قام بكتابتها السريان النصارى، وتبدأ بعبارة: "لخلون مطول دلبي مين ألوهو"، والتي تعني في العربية: من أجل جميع الشجعان في الله.

صورة للصفحتين الأوليتين من "المخطوط الفاتيكاني عدد ٢٥٠"، وهو ترجمة عربية من السريانية لإنجيل الديا سطرون، ويرقى المخطوط للعصر العباسي، ويتضح فيه تأثر النسخ العربي بطريقة عرض القرآن الكريم، وذلك من خلال وضع النساخ للقرآن الكريم لسورة الفاتحة مقابلة لأول آيات سورة البقرة كمنهج اعتمده المسلمون في نسخ القرآن الكريم عبر الطريقة التوقيفية.

لمزيد من الاطلاع على حركة الترجمة في عهد المأمون انظر الباب السادس من هذا الأطلس

محمد المعتصم

٢١٨ - ٢٢٧ هـ / ٨٣٣ - ٨٤١ م

هو **أبو إسماعيل** محمد المعتصم بن هارون الرشيد، بن محمد ابن المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وهو الخليفة العباسي الثامن، وأمه أم ولد من مولدات الكوفة، اسمها ماردة، وهي تركية وكانت أحظى النساء عند الرشيد، ولد سنة ثمانين ومائة كذا قال الذهبي، وقال الصولي: في شعبان سنة ثمان وسبعين ومئة.

وحينما مرض الخليفة المأمون في طرسوس، ولم يكن قد عقد لأحد بعده بولاية العهد، فاستدعى أخاه المعتصم وعهد إليه بالخلافة من بعده، دون ابنه العباس الذي كان موجوداً معه في طرسوس للقيام بغزو الدولة البيزنطية، ورد هجماتها، لكن مرضه حال دون إتمام ذلك.

ولعل الذي جعل المأمون يؤثر أخاه بالحكم دون ابنه أن الخلافة العباسية كانت تتهددها الأخطار من الداخل والخارج في ثورة بابك الخرمي في فارس، وهجمات البيزنطيين، وكان المعتصم بطلاً شجاعاً متمرساً بالحرب خبيراً بشئونها، فآثر المأمون المصلحة العليا للخلافة بتولية من يصلح لهذه الحقبة، وتمت البيعة بعد وفاته في (١٩ من رجب ٢١٨هـ= ١٠ من أغسطس ٨٣٣م).

وكان المعتصم يتميز بقوته الجسدية وشدته في الحرب، حتى قيل عنه: إنه كان يصارع الأسود، ويحمل ألف رطل، ويمشي بها خطوات، غير أنه لم يكن مميزًا بالعلوم والآداب كأخويه الأمين والمأمون.

وبالغ بعض المؤرخين فذكر أنه كان أمياً لا يكتب، أو أنه كان ضعيف الكتابة على قول ابن خلّكان، وابن كثير، لكن ذلك لم يكن له أدنى تأثير في الحركة الفكرية والعلمية التي عمّت الخلافة، فقد كانت البلاد مدفوعة بطاقة عارمة نحو الرقي والتقدم.

وفي عهده تم تصفية الحركات الكبرى التي قامت في عهد المأمون مثل: حركة الزط والخرمية، وبنى مدينة سامراء وفتح عموريه سنة ٢٢٣ هـ.

من مآثر المعتصم: قال نفطويه والصولي: للمعتصم مناقب وكان يقال له المثمن لأنه ثامن الخلفاء من بني العباس، والثامن من ولد العباس، وثامن أولاد الرشيد وملك سنة ثمان عشرة، وملك ثمان سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام، ومولده سنة ثمان وسبعين وعاش ثمانياً وأربعين سنة، وطالعه العقرب وهو ثامن برج، وفتح ثمانية فتوح، وقتل ثمانية أعداء، وخلف ثمانية أولاد ومن الإناث كذلك، ومات لثمان بقين من ربيع الأول.

وكان المعتصم كريم الخلق، متواضعاً، يحكي عنه أنه خرج مع أصحابه في يوم ممطر، وتفرق عنه أصحابه، فبينما هو يسير إذ رأى شيخاً معه حمار عليه حمل شوك، وقد وقع الحمار وسقط الحمل، والشيخ قائم ينتظر من يمر به فيساعده، فنزل المعتصم عن دابته، وخلص الحمار عن الوحل، ورفع عليه حمله وانتظر أصحابه حتى جاءوا، وأمرهم أن يسيروا مع الشيخ ليعينوه.

كما كان المعتصم سخياً، فلقد روى أحمد بن أبي داود: تصدق المعتصم على يدي، ووهب ما قيمته ألف ألف درهم، وفي عهده كثر العمران، وبنيت القصور وارتفع البنيان، وقد مرض المعتصم فأخذ يقول: ذهبت الحيلة، فليس حيلة، ولقي ربه في سنة ٢٢٧هـ بعد حياة حافلة بالأعمال الخالدة للمسلمين.

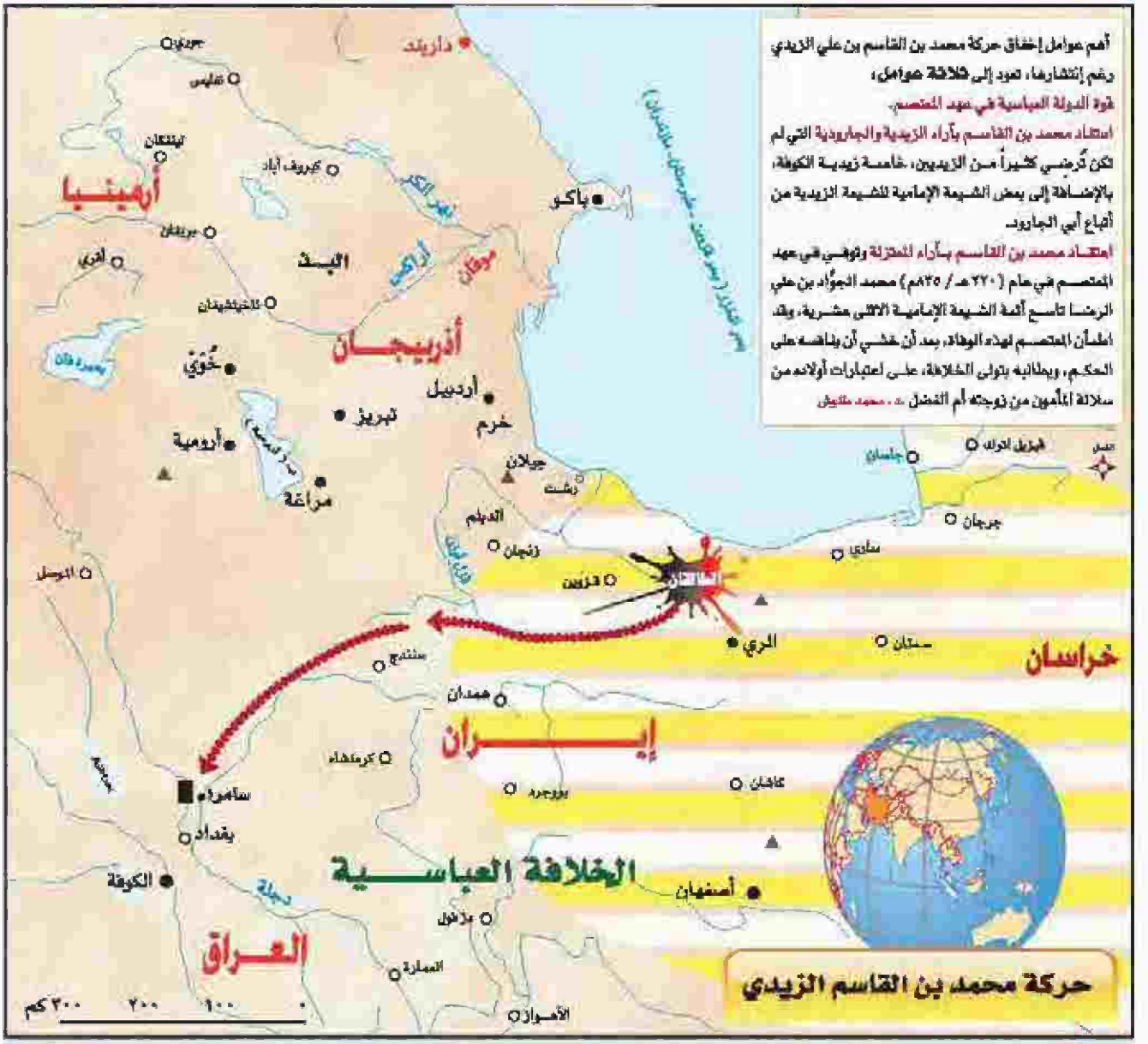

خرج من **الطالبيين** في عهد الخليفة المعتصم، محمد بن القاسم بن علي الزيدي في عام (٢١٩ هـ /٨٣٤ م) بالطالقان، فالتف حوله كثير من سكان كور خراسان. ولكن حركته لم تكن منظمة، ولم تشكل خطراً جدياً على حكم المعتصم، الذي أمر قائده **عبد الله بن طاهر**، أمير خراسان، بالتصدي له، وتمكن هذا القائد من هزيمته، **وقبض عليه، وأرسله إلى سامراء حيث سجن فيها**، إلا أنه فَرّ من سجنه بمساعدة رجال من شيعته، وتوارى أيام المعتصم والواثق ثم أُخِذَ في أيام المتوكل، فسُجِن ومات في سجنه.

من المصاعب التي واجهت المعتصم وأثقلت كاهله في أثناء خلافته، **حركة الزط** الذين تمكنوا من السيطرة على طريق البصرة، وهددوا مرافق الدولة، وفرضوا المكوس على السفن، وحالوا دون وصول الإمدادات إلى بغداد، فوجّه إليهم قائده **عجيف بن عنبسة** في عام (٢١٩ هـ / ٨٣٤ م) لصدهم في البطيحة، وشدد عليهم، حتى طلبوا الأمان، فنفاهم المعتصم إلى **عين الزربة**.

البوابة الجنوبية للمدينة

تميزت عين زربة بالموقع الجغرافي الجيد مما جعلها تلعب دوراً كبيراً في الصراع بين الإمبراطورية البيزنطية والفاتحين المسلمين وقد أعيد بناؤها من قبل هارون الرشيد في ٧٩٦ م، وحصنت ثانية بشكل جيد على نفقة سيف الدولة الحمداني (القرن العاشر) ثم تهيها وخربها الصليبيون.

عين زربة: قال ياقوت: من ثغور قرب المصيصة تذكر في العين أ . هـ وقديماً سميت أنازاربوس Anazarbus والآن اسمها نافارزا، وهي مدينة قديمة في قيليقية في الجمهورية التركية اليوم.

البوابة الغربية للمدينة التي تطل على قلعة عين زربة

القضاء على حركة بابك الخرمي

كان الخليفة المعتصم عند حسن الظن به، فقد صعَّد حربه ضد البابية حتى قضى على حركتهم في سنة ٢٢٣هـ /٨٣٥ م فقد ركز جهوده - بعد استقرار الوضع الداخلي- على حرب بابك، وأرسل الحملة تلو الحملة ضده، ومن جهة أخرى فقد تفاقم خطر بابك بعد أن دخلت أذربيجان في حوزته، فنشر الرعب في المنطقة الممتدة حتى إيران في سنة ٢١٨ هـ /٨٣٣/م، وعين المعتصم في سنة ٢٢٠ هـ / ٨٣٥ م، أعظم قادته وهو الأفشين « حيدر بن كاوس » أميراً على الجبال، وأمره بقتال بابك، تميز هذا القائد بالحذر والخبرة الشديدة بالمسالك الجبلية. فاتبع خطة عسكرية مرنة تستند على التقدم البطيء. فعسكر في برزند من نواحي تفليس، وضبط الحصون والطرق فيما بينه وبين أردبيل، ووزع جنده على مختلف القلاع والمواقع، وكان المعتصم يمده بالإمدادات والمؤن، ونفقات الجند باستمرار،ورَتّب البريد، ومهّد الطرقات لتأمين المواصلات والاتصالات بسرعة وسلام، حتى أضحى تبادل الرسائل بين سامراء ومعسكر الأفشين يستغرق مدة أربعة أيام أو أقل، كما استعمل الحمام الزاجل لنقل الأخبار لأول مرة في هذه الحرب، وكان يشرف على سير المعارك من سامراء، ويضع الخطط العسكرية بنفسه. وبذلك أضحى للمسلمين سلسلة من الحصون المتماسكة في مواجهة بابك، ولجأ الأفشين إلى استعمال الأسلوب التجسسي كي يضعف خصمه، ويطلع على خططه؛ فكان يستقطب من يظفر به من جواسيس؛ فيضاعف لهم العطاء، ويسخرهم في التجسس له. أدرك بابك على الفور أنه يواجه هذه المرة قائداً محنكاً، وحتى يخفف الضغط عن قواته في أذربيجان، ناشد الإمبراطور البيزنطي ثيوفيل أن يهاجم الأراضي الإسلامية، ووعده بأن يعتنق النصرانية. نتيجة هذا الاحتقان كان لابد أن يقع صدام بين الجانبين بعد هذه الاستعدادات العسكرية، فأصدر الخليفة أوامره إلى الأفشين ببدء العمليات العسكرية، وحدد له مدينة (البذ) كأول هدف عسكري بعد اضطرار بابك إلى التحصُّن فيها إثر معركة أرشق، لم يتسرع الأفشين في تقدمه نحو البذ، وأخذ يزحف متأنياً حتى وصلها وضرب عليها حصاراً مركزاً، واتخذ من مدينة روذ الروذ معسكراً جديداً لقواته، وحاول بابك في غضون ذلك استمالته لكنه لم ينجح، وبقي الأفشين محاصراً البذ حتى تمكن من دخولها يوم الجمعة في ١٠ رمضان سنة ٢٢٢ هـ / آب سنة ٨٣٧م هرب بابك، بعد سقوط البذ إلى أرمينيا[١].

---

١ - د . محمد سهيل طقوش . تاريخ الدولة العباسية، ص ١٤٠ - ١٤١ .

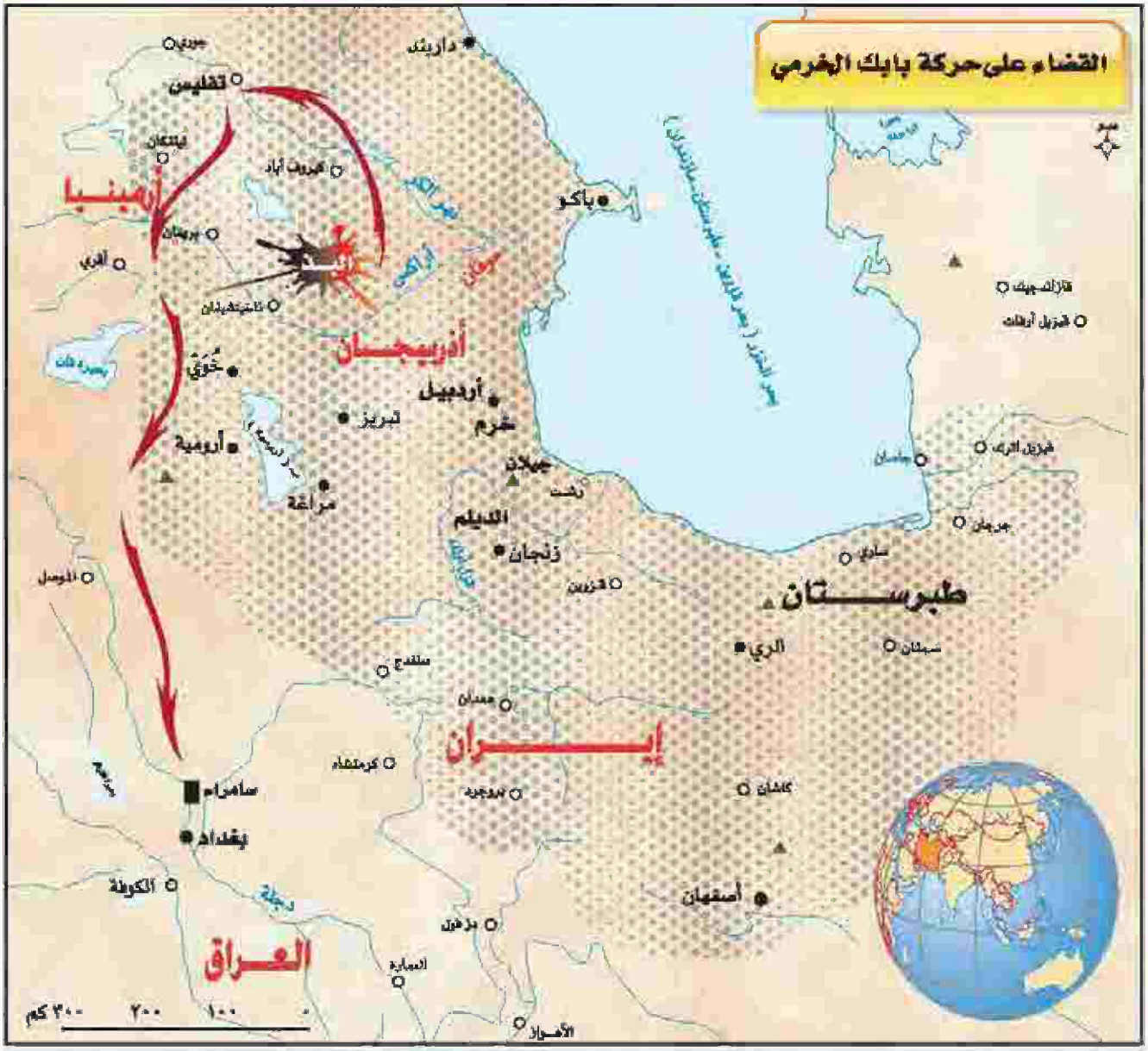

كتب **الأفشين** إلى ملوك وأمراء الجهات التي هرب إليها بابك يسد الطرق عليه، وتذكر المصادر أن البطريق سهل بن سنباط تعرّف على مكان اختبائه؛ فأمنه؛ ثم غدر به وسلمه إلى الأفشين. **وجيء ببابك إلى سامراء** في شهر صفر عام ٢٢٣ هـ / شهر كانون الثاني عام ٨٣٨ م، ومعه أخوه عبد الله وكان يوم وصوله يوماً مشهوداً؛ فقد ألبسه الجند ثيابه الأرجوانية، ووضعوه على ظهر فيل، وطافوا به في شوارعه، وعندما أضحى في مجلس الخليفة نزع عنه الجند ماكان يلبس، ثم قطعوا يديه ورجليه، وراحوا يفرزون سيوفهم ببطء في جسده، متجنبين إصابته بمقتل ليطيلوا أمد عذابه، وأخيراً قطعوا رأسه وأرسله الخليفة إلى بغداد حيث عُرِضَ على الناس، بينما **صُلبت جثته وعرضت في سامراء، وصلب معه أخوه عبد الله**، فانتهت بذلك هذه الحركة التي شغلت جانباً من اهتمامات الخلافة منذ عهد المأمون.

حركة المازيار

ماكادت دولة الخلافة العباسية تتخلص من الأخطار التي كانت تمثلها حركة **بابك الخرمي** في المناطق الواقعة إلى الغرب من بحر قزوين، حتى واجهتها **حركة فارسية أخرى**، تمثلت في حركة المازيار بن قارن آخر الأمراء القاريانيين **بطبرستان**، الذي اتخذ من موطنه مسرحاً لنشاطه الثوري المعادي للدولة.

اعتنق المازيار الإسلام وتسمى باسم محمد، وولاه المأمون على طبرستان ورويان ودنباوند، ولقبه الأصبهبذ، ويبدو أنه كان ذا نزعات استقلالية؛ فأراد الانفصال عن جسم الدولة، فاستغل الخصومة بين الطاهريين - الذين كان يكرههم، وبين الأفشين الطامع في ولاية خراسان ليرفع راية الثورة، وكان هذا الأخير قد كاتب المازيار وشجعه على إعلان العصيان على حكمهم، آملاً أن لا يتمكن هؤلاء من إخضاعه، فيتخذ- عندئذ- ذلك ذريعةً لانتزاع خراسان منهم؛ لكن هذه العلاقة بين الأفشين والمازيار لم تكن بهذه السطحية وأن الصلة التي جمعت الرجلين بعيدة الغور عميقة الجذور، فقد اعترف المازيار بأن الأفشين حرضه على الخروج والعصيان لمذهب اجتمعوا عليه، ودين اتفقوا عليه من مذاهب الثنوية والمجوس، كما كان المازيار يكاتب بابك، ويعرض عليه المساعدة، والراجح أنه كان على مذهب الخرمية، ذلك المذهب الذي أضحى يمثل ثورة الوعي الفارسي ضد سلطان العباسيين وضد المجتمع الذي أقاموه، وأن الدوافع التي حركت بابك، هي التي حملته على العصيان خاصة،إذا علمنا أنه كان حديث عهد بالإسلام، أي أن هذه الدوافع كانت مزيجاً من الدوافع السياسية والعنصرية والدينية. وتدل التدابير التي نفذها المازيار بعد إعلان حركته، على نزعة الخرمية الاشتراكية إذ أراد مصادرة الأراضي من الملاك، وتوزيعها على الفلاحين، ولهذه النزعة معنى سياسي إلى جانب المعنى الاقتصادي خاصة إذا علمنا أن قسماً كبيراً من الملاك كانوا من العرب ومواليهم؛ لذلك أمر المازيار عامله على **سرخستان** بأن يجمع مئتين وستين من أبناء القادة ويسلمهم إلى الفلاحين ليقتلوهم بوصفهم أناساً يشكلون خطراً، كما أغرى هؤلاء بقتل أرباب الضياع، وأباح لهم منازلهم وحُرمهم، في محاولة تهدف إلى ضم قوى الطبقات العامة ودفعها للتخلص من السلطان العربي. وقد وقف الخليفة على أهداف هذه الثورة، حين ضبط عبد الله بن طاهر رسالة من الأفشين إلى المازيار، وبعد أن حصل هو على الرسائل الأخرى من المازيار نفسه[1].

---

١ - د. محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة العباسية، ص ١٤٢ - ١٤٣.

حسب وصف ياقوت الحموي فقد كان طبرستان إقليماً واسعاً وكبيراً ذات غير مُطلعة أراضٍ جبلية وعرة وتكثر فيه المياه التي تتخلل أراضي شجرية كثيرة الفواكه والثمار. وحسب مُعجم البلدان أيضاً فقد كانت تعد مدن آمل وجرجان واستراباذ ودامغان من بلاد طبرستان. ويصف أنه قد وقعت على أطراف طبرستان جبال وعرة جداً تسمى "جبال شروين"، التي كانت أكثر جبال طبرستان حصانة وعورة وأدغالاً (ولقد كان فاتح هذه الجبال هو موسى بن حفص بن عمرو ابن العلاء).

عملة تعود إلى القرنين ٨ و ٩ الميلاديين

وواقع الحال أن هذه الحركة (حركة المازيار) ولدت ميتة؛ ذلك أن توقيت إعلانها في عام (٢٢٤ هـ / ٨٣٩ م) لم يكن مناسباً، فقد كانت دولة الخلافة العباسية آنذاك في وضع مستقر، وعلى درجة عالية من القوة ولاسيما بعد أن تخلصت من العديد من الحركات المعادية التي قامت في وجهه، ومن ثم فإن القضاء على حركة المازيار لم يكلفها الكثير من الجهد، أما نهاية المازيار فقد كانت شبيهة بنهاية بابك حيث قتله الخليفة، ثم صلبه إلى جانب بابك الخرمي.

بناء مدينة سُرَّ من رأى

لم يكن قد انقضى على بناء بغداد قرن واحد حتى عرضت للمعتصم فكرة بناء عاصمة جديدة، بعدما ضاقت بغداد بجنده الأتراك الذين أكثر من استخدامهم في الجيش، ولم تسلم العاصمة من مضايقاتهم، حتى أكثر الناس الشكوى من سلوكهم.

واختار المعتصم بالله لعاصمته الجديدة مكاناً يبعد ١٣٠ كم رأساً من شمالي بغداد، شرقي نهر دجلة، وشرع في تخطيط عاصمته سنة (٢٢١هـ= ٨٣٦م) وبعث إليها المهندسين والبنّاءين وأهل المهن من الحدادين والنجارين وغيرهم، وحمل إليها الأخشاب والرخام وكل ما يحتاج إليه البناء.

وعُني الخليفة بتخطيط المدينة وتقسيمها بوصفها مركزاً حضارياً ومعسكراً لجيشه، ففصل الجيش ودواوين الدولة عن السكان، واهتم بفصل فرق الجيش بعضها عن بعض، وامتدت المدينة على ضفة دجلة الغربية نحو ١٩ كم، وكان تخطيط المدينة رائعاً، يتجلى في شق عدة شوارع متوازية على طول النهر، يتصل بعضها ببعض عن طريق دروب عدة، وكان أهم شوارع المدينة بعد شارع "الخليج" الذي على دجلة "الشارع الأعظم"، وكان يمتد في عهد المعتصم ١٩ كم من الجنوب إلى الشمال بعرض مائة متر تقريباً.

و عُني المعتصم بزراعة القسم الغربي من دجلة تجاه المدينة، وشجع قادته على المساهمة في الزراعة، وحرص أن تكون عاصمته الجديدة مجمعاً للصناعات المعروفة في عهده، واهتم ببناء الأسواق، وجعل كل تجارة منفردة مثلما هو الحال في أسواق بغداد، وجعل شارع الخليج الذي على دجلة رصيفاً ومرسى لسفن التجارة.

وكانت المدينة الجديدة جميلة بقصورها الضخمة ومبانيها الرائعة وشوارعها المتسعة، ومسجدها الجامع وغيره من المساجد، فدعيت بـ"سُرَّ مَن رأى"، وزاد إقبال الناس على السكنى بها.

وتكشف الآثار الباقية من سامراء عن مدى التقدم العمراني والحضاري، الذي كانت عليه الخلافة العباسية في القرن الثالث الهجري[1].

مصادر الجند الأتراك في عهد المعتصم، فقد تم جلبهم من أقاليم ما وراء النهر، مثل: سمرقند وفرغانة وأشروسنة والشاش وخوارزم، وكان ذلك إما عن طريق النخاسة، أي الشراء، وإما عن طريق الأسر في الحروب، وإما عن طريق الهدايا التي كان يؤديها ولاة هذه الأقاليم على شكل رقيق إلى الخليفة، ومن ثم أصبحت بلاد ما وراء النهر مصدراً مهماً للرقيق التركي. ومكّن المعتصم للأتراك في الأرض، فقربهم إليه، وخصّهم بالنفوذ، وقدّمهم قيادة الجيوش، وجعل لهم مركزاً في مجال السياسة، وأسكنهم سامراء التي بناها خصيصاً لهم، ومن جهة ثانية حرم العرب مما كان لهم من قيادة الجيوش، ثم أسقط أسماءهم من الدواوين، وقطع أعطياتهم. د. طقوش، تاريخ الدولة العباسية، ص ١٤٥.

---

١ - أحمد تمام، الخليفة المعتصم بالله، إسلام أون لاين.

لقد تفوقت سر من رأى على سائر المدن العباسية بقصورها ومساجدها وحدائقها، وبكل مظهر من مظاهر الترف والنعيم. وشاء الله أن تكون سامراء عاصمة الدولة العظمى: لثمانٍ من الخلفاء العباسيين المعتصم بالله محمد بن هارون الرشيد، فمنها تُنظم حياة الأمة - السياسية والعسكرية والاقتصادية والعلمية،...إلخ - من سواحل المحيط الأطلسي غرباً حتى تخوم الصين شرقاً، على الرغم من اختلاف أجناس الناس، واختلاف مشاربهم ولغاتهم. وإلجدير بالذكر فإن هذه العاصمة كان لها الجهد الكبير في ازدهار الحضارة العربية الإسلامية وتطورها العلمي والديني فضلاً عن العمران الذي تمثل في قصورها، مما جعلها من أمهات العواصم آنذاك. إلا أنها في نهاية القرن الثالث خربت وهُجرت ولم تعد كما كانت، وذلك بسبب عودة الخلافة إلى بغداد، حيث استعادت مكانتها لتكون حاضرة الدنيا. د. رفيق السامرائي، الحديث والمحدثون بسر من رأى والواردين عليها منذ تأسيسها سنة ٢٢١ هـ إلى نهاية القرن ٤ هـ.

المئذنة الملوية تعد واحدة من الآثار العباسية القديمة وقد كانت في الأصل مئذنة المسجد الجامع الذي أسسه المتوكل عام ٢٣٢ هـ في الجهة الغربية لمدينة سامراء الذي بناها الخليفة المعتصم بالله، واعتبرت في حينها من أكبر المساجد في العالم الإسلامي. والمئذنة الملوية تقع على بعد ٢٥, ٢٧ م من الحائط الشمالي، وهي مقامة على قاعدة مربعة ضلعها (٣٣ م) وارتفاعها (٣ م) يعلوها جزء أسطواني يحيط به من الخارج درج حلزوني يلتف حول بدن المئذنة من الخارج وهو من خمس طبقات تتناقص سعتها بالارتفاع، الدرج سعته ٢ متر وهو بعكس عقارب الساعة وعدد درجاته تبلغ ٣٩٩ درجة والارتفاع الكلي للمئذنة يبلغ ٥٢ م. في أعلى القمة طبقة يسميها أهل سامراء "بالجاون" وهذه كان يرتقيها المؤذن ويرفع به الأذان الله أكبر .. الله أكبر.

ملوية سامراء

المسجد الجامع في سر من رأى وهو من أهم الآثار العباسية طوله ٢٤٠ م وعرضه ١٦٠ م، وقد صلي فيه هذا العام (١٤٣٢ هـ) صلاة عيد الأضحى المبارك

منشأة مائية للوضوء وسط المسجد الجامع بسر من رأى، التقطت بواسطة الأخ د . رفيق السامرائي أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة الأمير محمد بن فهد

وامعتصماه .. وفتح عموريه

استغل **البيزنطيون** انشغال الخليفة المعتصم بالله في القضاء على فتنة بابك الخرمي، وجهزوا جيشاً ضخماً قاده الإمبراطور ثيوفيل، بلغ أكثر من مائة ألف جندي، هاجم شمال الشام والجزيرة، ودخل مدينة "زِبَطْرة" التي تقع على الثغور، وكانت تخرج منها الغزوات ضد الروم، وقتل الجيش البيزنطي من بداخل حصون المدينة من الرجال، وانتقل إلى "ملطية" المجاورة فأغار عليها، وعلى كثير من الحصون، ومثّل بمن صار في يده من المسلمين، وسَمَلَ أعينهم، وقطع آذانهم وأنوفهم، وسبى من المسلمات فيما قيل أكثر من ألف امرأة.

وصلت هذه الأنباء المروعة إلى أسماع الخليفة، وحكى الهاربون الفظائع التي ارتكبها الروم مع السكان العزل؛ فتحرك على الفور، وأمر بعمامة الغزاة فاعتم بها ونادى لساعته بالنفير والاستعداد للحرب.

ويذكر بعض الرواة: أن امرأة ممن وقعت في أسر الروم قالت: **وامعتصماه**، فنُقل إليه ذلك الحديث، وفي يده قَدَح يريد أن يشرب ما فيه، فوضعه، ونادى بالاستعداد للحرب، وهذا ما عناه أبو تمام الطائي في قوله مادحاً للخليفة بعدما حقق نصر:

لبيّت صوتاً زِبَطرياً هَرَقْتَ لَهُ
كَأْسَ الْكَرَى وَرُضَابَ الْخُرَّدِ الْعُرُبِ

وخرج المعتصم على رأس جيش كبير، وجهّزه بما لم يعدّه أحد من قبله من السلاح والمؤن وآلات الحرب والحصار، حتى وصل إلى منطقة الثغور، ودمّرت جيوشه مدينة أنقرة ثم اتجهت إلى عموريه في (جمادى الأولى ٢٢٣هـ= أبريل ٨٣٨م) وضربت حصاراً على المدينة المنيعة دام نصف عام تقريباً، ذاقت خلاله الأهوال حتى استسلمت المدينة، ودخلها المسلمون في ١٧ من رمضان سنة ٢٢٣هـ= ١٣ من أغسطس ٨٣٨ م بعد أن قُتل من أهلها ثلاثون ألفاً، وغنم المسلمون غنائم عظيمة، وأمر الخليفة المعتصم بهدم أسوار المدينة المنيعة وأبوابها، وكان لهذا الانتصار الكبير صداه في بلاد المسلمين، وخصّه كبار الشعراء بقصائد المدح[1].

الفتح المبين: تقدم الخليفة باتجاه عموريه بعد تدمير أنقرة؛ فوصلها في سبعة أيام وشرع في حصارها، وعلى الرغم من مناعتها وحصانتها إلا أنها استسلمت في السابع عشر من (شهر رمضان عام ٢٢٣ هـ / ٨٣٨م) بعد أسبوعين من الحصار؛ فأسر المسلمون كثيرا من أهلها وغنموا غنائم وفيرة، وهدم المعتصم أسوارها وأمر بالقابل بترميم زبطرة وتحصينها. كشفت حملة المعتصم عن ضعف الإمبراطورية البيزنطية، مما شجع الخليفة على مواصلة زحفه باتجاه القسطنطينية، التي باتت الطريق إليها مفتوحة، إلا أنه اضطر للعودة إلى العراق لأنه كشف مؤامرة دبرها الأمير العباسي. د. محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة العباسية، ص ١٤٠

---

١ - أحمد العلم، الخليفة المعتصم بالله، إسلام أون لاين.

فتح عمورية في ١٧ رمضان سنة ٢٢٣هـ

١ رأى الإمبراطور ثيوفيل أن يعود إلى قتال المسلمين على الحدود الشرقية لإمبراطوريته، وقد شجعه على ذلك نجاح المفاوضات التي أجراها مع بابك الذي وعده باعتناق النصرانية مقابل مساعدته في قتالهم، وظناً منه أن باستطاعته إحراز نصر عسكري عليهم؛ فأغار على منطقة أعالي الفرات ليؤمن اتصالاً مع الخرمية في أرمينيا وأذربيجان، واستولى في طريقه على زبطرة مسقط رأس والدة الخليفة وأسَرَ من فيها من المسلمين ومثّل بهم وسبى المسلمات، كما هاجم سميساط وملطية وأحرقها. اعتبر المعتصم هذه الغارة البيزنطية تحدياً شخصياً له قبل أن تكون تحدياً للخلافة العباسية، فقبل التحدي وعزم على أن يثأر لزبطرة .

٢ خرج المعتصم بالله على رأس الجيش العباسي متجهاً صوب عموريه مسقط رأس أسرة ثيوفيل، عازماً على تدميرها، والجدير بالذكر أن الاستيلاء على عمورية يُعد خطوة للوصول إلى القسطنطينية . غادر الخليفة سامراء وهو على تعبئة، وجعل أنقرة أول هدف للحملة، فمن أشناس التركي قائداً للمقدمة، وإيتاخ قائداً للميمنة، وجعفر بن دينار على الميسرة، وعجيف بن عنبسة على القلب، وشارك الأفشين في حملة على رأس فرقة عسكرية وكتب على ألوية الجيش وتروسه " عموريه " وقرر دخول الأراضي البيزنطية من ثلاثة محاور، فتوجه جيش الشرق بقيادة الأفشين نحو مدينة سروج ليدخل الأراضي البيزنطية في يوم محدد عن طريق درب الحدث، أما جيش الغرب بقيادة أشناس فكان عليه أن يتقدم عبر جبال طوروس إلى مدينة الصفصاف الواقعة قرب قلعة لؤلؤة على أن يلتقي بجيش الشرق في سهل أنقرة. وقاد الخليفة القسم الثالث من الجيش وزحف مباشرة نحو أنقرة، ورسم الخليفة خطته التكتيكية على أن تجتمع الأقسام الثلاثة عند سهل أنقرة لمهاجمة المدينة .

٣ لم يَسَعْ ثيوفيل بعد هزيمته وسقوط أنقرة، إلا أن يرسل إلى المعتصم يطلب الصلح معتذراً عن مذابح زبطرة، ومتعهداً بإعادة بنائه، وإعادة السكان إليه، وإطلاق سراح من عنده من الأسرى المسلمين، إلا أن الخليفة رفض عرض الصلح وتابع زحفه باتجاه عموريه حتى تم فتحها.

لمحات من قصيدة أبي تمام الطائي في مدح الخليفة المعتصم بالله بعد فتح عموريه

قال النويري [1]: لما فتح المعتصم **عموريه** أكثر الشعراء من ذكر هذا الفتح، فمن ذلك قول أبي تمام حبيب بن أوس الطائي من قصيدته التي يقول في أولها:

السيف أصدق أنباءً من الكتب ... في حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لاسود الصفائح في ... متونهن جلاء الشك والريب
والعلم في شهب الأرماح لامعةً ... بين الخميسين لا في السبعة الشهب

جاء منها:

فتح الفتوح تعالى أن يحط به ... نظمٌ من الشعر أو نثرٌ من الخطب
فتحٌ تفتح أبواب السماء له ... وتبرز الأرض في أثوابها القشب

ومنها:

وبرزة الوجه قد أعيت رياضتها ... كسرى وصدت صدوداً عن أبي كرب
بكرٌ فما افترعتها كف حادثة ... ولا ترقت إليها همة النوب
من عهد إسكندر أو قبل ذاك فقد ... شابت نواصي الليالي وهي لم تشب
حتى إذا مخض الله السنين لها ... مخض الحليبة كانت زبدة الحقب
أتتهم الكرية السوداء سادرةً ... منها وكان اسمها فراجة الكرب
لما رأت أختها بالأمس قد خربت ... كان الخراب لها أعدى من الجرب

أشار في هذا البيت إلى **فتح أنقرة**. ومنها:

لبيت صوتاً زبطرياً هرقت له ... كأس الكرى ورضاب الخرد العرب

قيل: كانت الروم لما فتحت زبطرة صاحت امرأةٌ من المسلمين: وا محمداه! وا معتصماه! فلما بلغه الخبر ركب لوقته يؤم الشام، وصاح: لبيك! لبيك! ولم يرجع إلى أن فتح أنقرة وعموريه. ومنها:

خليفة الله جازى الله سعيك عن ... جرثومة الدين والإسلام والحسب
إن كان بين صروف الدهر من رحم ... موصولة أو ذمام غير منقضب
فبين أيامك اللاتي نصرت بها ... وبين أيام بدرٍ أقرب النسب

---

١ - نهاية الأرب في فنون الأدب، النسخة الرقمية، المرجع الأكبر، مكتبة العريس، بيروت - لبنان.

قال ياقوت الحموي في معجمه: **أنقرة**: بالفتح ثم السكون وكسر القاف وراء وهاء وهو فيما يقال اسم للمدينة المسماة أنكورية، وفي خبر امرىء القيس لما قصد ملك الروم يستنجده على قتلة أبيه فَرَتَهُ بنتُ الملك وبلغ ذلك قيصر فوعده أن يتبعه الجنودُ إذا بلغ الشام أو يأمر من بالشام من جنوده بنجدته فلما كان بأنقرة بعث إليه بثياب مسمومة فلما لبسها تساقط لحمُهُ فمات بالهلاك، فقال: رب طُعنة مُثْعِجره ... وخُطية مسحنفِرَه .. تبقى غداً بأنقرَه ... وحينما دخلها المعتصم في طريقه إلى عَمّوريه قال أبو تمام:

يا يوم وقعة عموريه انصرفتْ ... عنك المُنى حُفلاً معسولة الحلب
جرى لها الفألُ بُرحاً يوم أنقرة ... إذ غُودرَت وحشة الساحات والرحب
لما رأت أختها بالأمس قد خَرِبت ... كان الخرابُ لها أعدى من الجرَب

أحد المباني الأثرية في مدينة أنقرة عاصمة الجمهورية التركية

عَمُوريَـه: بفتح أوله وتشديد ثانيه، بلد في بلاد الروم غزاه المعتصم حين سمع شُراة العلوية ... وقد ذكرها أبو تمام فقال:

يا يوم وقعة عمُوريه انصرفت ... عنك المنى حفلاً معسولة الحلب

هي التي فتحها المعتصم في سنة ٢٢٣ وفتح أنقرة بسبب أسر العلوية في قصة طويلة وكانت من أعظم فتوح الإسلام. الحموي، معجم البلدان.

من الآثار الباقية لمدينة عموريه في وسط تركيا

الواثق بن المعتصم

٢٢٧ - ٢٣٢ هـ / ٨٤١ - ٨٤٧م

هو **أبو جعفر** هارون الواثق بن المعتصم بالله بن هارون الرشيد، بن محمد بن المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وهو الخليفة العباسي التاسع وأمه أم ولد رومية اسمها قراطيس.

ولي الخلافة بعد وفاة أبيه المعتصم سنة ٢٢٧ هـ. أحسن الواثق لأهل الحرمين حتى قيل: إنه لم يوجد بالحرمين في أيامه سائل « أي فقير ». كان مشجعاً للعلماء. وكانت وفاته في سامراء بالحمى سنة (٢٣٢ هـ/٨٤٧).

قامت عدة ثورات في عهده في الشام وفلسطين بسبب الاحتكاكات بين السكان العرب والجيوش التركية التي شكلها والده المعتصم، تم إخماد هذه الثورات، إلا أن جذوة النقمة تضاعفت بين الأهالي.

كانت خلافة أبي جعفر هارون الواثق خمس سنوات، قضى فيها على الثورات التي قامت في عهده، ولقّن الخارجين على الدين والآداب العامة دروساً لا تنسى، وعزل من انحرف من الولاة، وصادر أموالهم التي استولوا عليها ظلماً وعدواناً، وفي عهده استكمل فتح جزيرة "صقلية"، حينما أكمل فتحها الفضل بن جعفر الهمداني سنة ٢٢٨هـ/ ٨٤٣م.

قال يحيى بن أكثم : ما أحسن أحد إلى الطالبيين ما أحسن إليهم الواثق، ما مات وفيهم فقير . وفي سنة إحدى وثلاثين : قتل أحمد بن نصر الخزاعي الشهيد ظلماً، وأمر بامتحان الأئمة والمؤذنين بخلق القرآن ، وافتك من أسر الروم أربعة آلاف وست مائة نفس ، فقال ابن أبي دؤاد : من لم يقل : القرآن مخلوق، فلا تفتكوه وكانت فتنة عظيمة افتتن بها المسلمون آنذاك.

قال الخطيب : استولى أحمد بن أبي دؤاد على الواثق ، وحمله على التشدد في المحنة ، والدعاء إلى خلق القرآن .وقيل: إنه رجع عن ذلك قبيل موته.

قال إبراهيم نفطويه : حدثنا حامد بن العباس ، عن رجل ، عن المهتدي بالله أن الواثق مات وقد تاب عن القول بخلق القرآن، وهذا لعمري من فضل الله عليه أن ختم الله له بالتبرء من هذه الفتنة .

دينار الخليفة الواثق بالله-ضرب بمدينة السلام عام ٢٢٨هـ

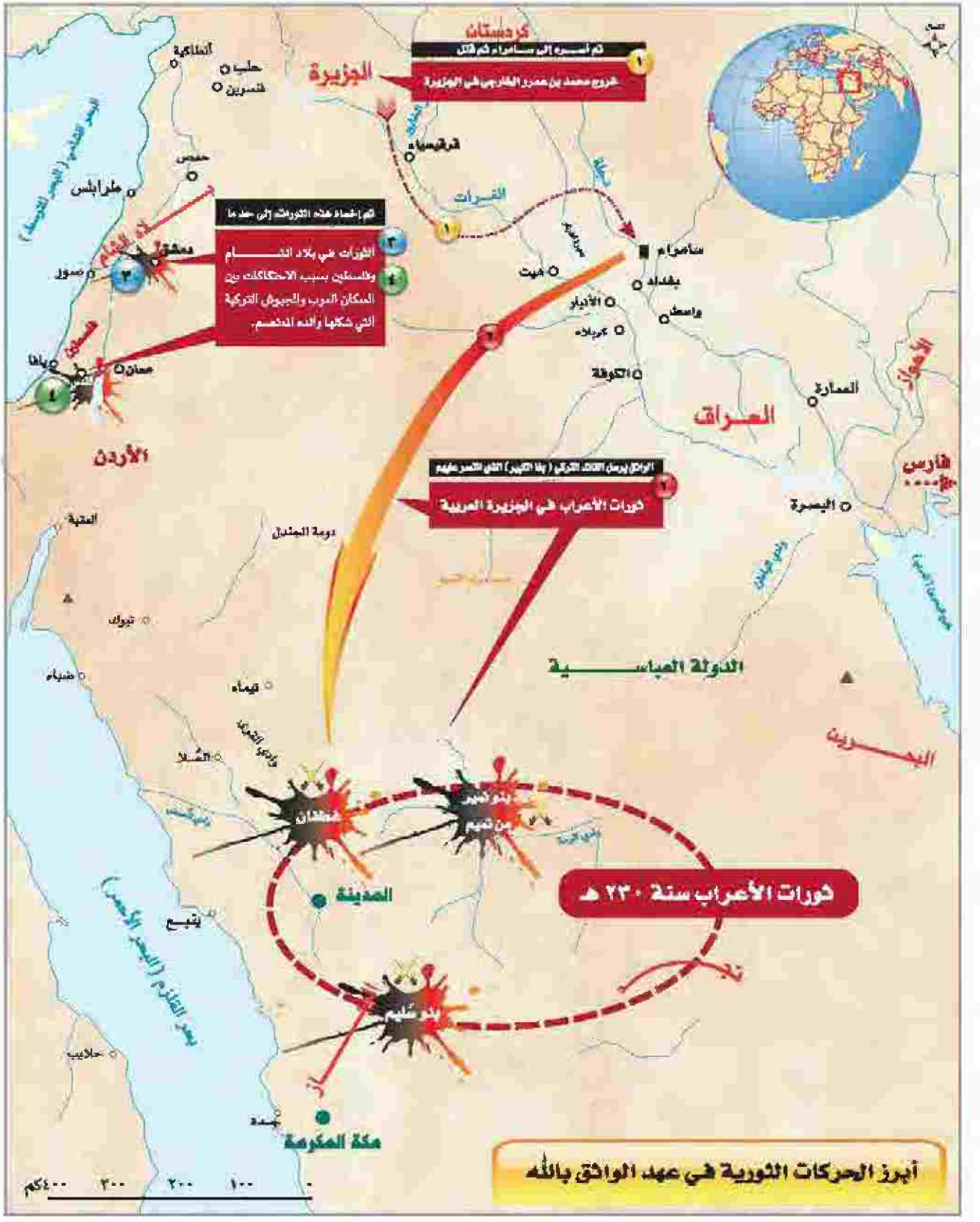
كردستان
ثم أسره إلى سامراء ثم قتل
١ خروج محمد بن عمرو الخارجي في الجزيرة
الجزيرة
أنطاكية
حلب
قنسرين
قرقيسياء
الفرات
حمص
طرابلس
البحر المتوسط (البحر الشامي)
بلاد الشام
دمشق
صور
ثم إخماد هذه الثورات إلى حد ما
٢ الثورات في بلاد الشام
٣ والمسلمين بسبب الاحتكاكات بين
٤ السكان العرب والجيوش التركية
التي شكلها والده المعتصم.
صيدا
عمان
بيبلا
الأردن
سامراء
هيت
بغداد
الأنبار
واسط
كربلاء
الكوفة
العمارة
العراق
الأهواز
فارس
البصرة
١ الوافق يرسل القائد التركي (بغا الكبير) الذي انتصر عليهم
٢ ثورات الأعراب في الجزيرة العربية
العقبة
دومة الجندل
تبوك
ضباء
تيماء
وادي القرى
العُلا
الدولة العباسية
البحرين
ينبع
المدينة
ثورات الأعراب سنة ٢٣٠ هـ
بدر سليم
البحر الأحمر
حلايب
جدة
مكة المكرمة
أبرز الحركات الثورية في عهد الواثق بالله
٠ ١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠ ٤٠٠كم